



Equipes Notre-Dame

فرق السيّدة - لبنان

---

# "لم يبقَ عندهم خمر"

(يوحنا ٣/٢)

"يرغب الله في أن يمنحنا جمًّا من العطايا  
الصالحة، إلا أن ما يمنعه هو أيادينا الممتلئة مسبقًا.  
لذلك عليك أن تُفرغ ذاتك ممَّا أنت مُفعمٌّ به حتى تمتلئ  
بما أنت خالٍ منه".

(القديس ايريناوس - Saint Irénée)

## المحتويات

تمهيد

الفصل الأول: لم يبقَ عندهم خمر

الفصل الثاني: نقص في الإيمان

الفصل الثالث: نقص في الرجاء

الفصل الرابع: نقص في الحبّ

الفصل الخامس: وماذا عن حبّنا الزوجي؟

الفصل السادس: وماذا عن التجرّد؟

الفصل السابع: وماذا عن الألم ومعناه المسيحي؟

الفصل الثامن: وماذا عن معنى الخدمة؟

## لم يبقَ عندهم خمر

خاطبت مريم ابنها ولفَّتت نظره إلى وجود نقص.  
وأنا يا يسوع، أريد أن أجيد التكلّم معك على طريقة أمك.  
أريد أن أعرف كيف أخبرك بما ينقصني وينقص إخوتي،  
فليس لديهم قوة، وليس لديهم أمل، وليس لديهم حبّ،  
وليس لديهم خبز، وليس لديهم سقف...  
أريد أن أخبرك اليوم، كما في قانا الجليل، بكلّ ما ينقص الناس في عصرنا،  
وبكلّ ما يفتقر إليه أصدقائي وجيراني وضيوفي هؤلاء الأزواج الشباب.  
أريد أن أقوله لك من دون أن أطلب منك شيئاً  
لأنني أحبّهم ولأنني أثق بك.  
"مهما يأمركم به، فافعلوه".  
أريد أن أعرف كيف عبّر للأخريين عن ثقتي المطلقة بكلامك.  
أريد أن أتمكّن من تحقيق ما تطلبه منّي اليوم.  
امنحني فرح تتميم كلمتك يوماً بعد يوم.

\* \* \*

## تمهيد

يندرج بحث " لم يبقَ عندهم خمر " في نطاق درس موضوع "عرس قانا" الذي أعلنته حركة  
فِرَق السيِّدة في تجمّع "فاطمة - البرتغال" الذي انعقد في شهر تموز ١٩٩٤.  
لقد كُرِّست المرحلة الأولى لإعادة اكتشاف سرّ مريم : "كانت أمّ يسوع هناك" (١٩٩٥)، وثمّة  
ثلاث مراحل أخرى هي:

- لم يبقَ عندهم خمر (١٩٩٦)

- افعلوا ما يأمركم به (١٩٩٧)

- امألوا الأجاجين ماء (١٩٩٨)

أيّها الأصدقاء ..

ندعوكم إلى جرد مستودع الخمر لديكم. أعندكم خمرة جيّدة؟ خمرة أعراس؟ ربّما يقول قائل: "أيّ  
خمرة؟ وأيّ أعراس؟"، وربّما لن يقول أحد شيئاً، إذ تعلمون أنّ فِرَق السيِّدة تدعوكم إلى أعراس  
قانا، أي إلى التأمّل في هذا السرّ لتغدّوا منه حياتكم المسيحيّة.

في هذا المسار، سنكتشف برفقة مريم ما ينقصنا من هذه الخمرة المشيحيّة التي أتى بها يسوع  
بوفرة، فمريم هي التي نبّهت ابنها قائلة: "لم يبقَ عندهم خمر"، ولا تزال تُنبّهه اليوم في ما يتعلّق  
بنا ...

قد تتساءلون: لماذا نتوقف عند هذا النقص الذي حصل لدى ضيوف قانا، والأهم من ذلك، عند نقصنا اليوم الذي كان نقص قانا رمزاً له؟

يمكن السبب في أهمية أن نلاحظ أنه "ليس عندنا خمر". لقد نقصت مؤونتنا، لا بل نفذت، فالحياة الإلهية التي أتانا بها المسيح والتي ترمز إليها خمر العرس أصبحت ضعيفة وفقيرة في نفوسنا وينقصها هذا التدفق الذي من شأنه أن يروي كل حياتنا وحياة الآخرين من حولنا.

خلاصة القول، إننا مدعوون إلى القيام "بعملية حقيقية" تخلصنا من النزعة الفريسية ومن الغرور اللذين نميل إليهما عفويًا. فإما أن نتوهم ونظن أننا مشبعون بالإنجيل فنحلم بأننا نعيش الحب والأريحية وتقديم الذات إلى الله وإلى الآخرين أكثر مما نطبقها عمليًا في واقع الحياة، وإما أن نعتمد على قوانا الشخصية لتحقيق القداسة التي نتطلع إليها. يهدد هذان الموقفان المؤذيان حياتنا الروحية بالعقم. إذ يكونان عائقًا أمام عطاء الله. ومن شأن "عملية الحقيقة" التي سنقوم بها هذا العام أن تخلصنا من هذا العائق الرئيسي الذي يعرقل استقبالنا لهذه العطية ولخمرة العرس.

قد يعترض بعضهم قائلًا: "إذا سلطتم الأضواء على ما ينقصنا، ألن يؤدي ذلك إلى فتور هممتنا؟ ألن تتسببوا في تحطيم حافظتنا بأنفسنا الذي يجعلنا نتصرف في حياتنا الروحية كما في حياتنا العادية؟" لو اقتصرنا نظرنا على ما ينقصنا لكان المعترضون على حق، إلا أن نظرنا تترافق مع نظرة أخرى تتجه نحو المسيح الذي يأتي ليتّم ذلك النقص. لقد توجهت مريم إلى يسوع قائلة: "لم يبقَ عندهم خمر". ونحن أيضًا سنعي حدودنا وأخطأنا في نور يسوع وتحت نظرة أمنا مريم، مما سيغيّر الوضع كله. فما نفقد من الثقة بالذات نسترجعه في ثقنا بالمسيح. وسيدفعنا شعورنا بالعجز إلى اللجوء إلى أحضان الله الأبوية.

وبذلك نتخذ موقفًا إنجيليًا في العمق، إذ سنعترف بأننا خطأة كي نستقبل الخلاص، وسنعترف بأننا مرضى كي يزورنا الطبيب الإلهي ويشفيها، وسنعترف بأننا عطشى كي نتلقى عطية الماء الحي ... قال يسوع: "لم أت لأجل الأصحاء، بل لأجل المرضى، لم أت لأجل الأبرار، بل لأجل الخطأة". وبولس الرسول، ذلك الفريسي المتحمس الذي استولى عليه المسيح فاهتدى، فهم ذلك تمامًا فكتب: "أفتخر راضيًا بحالات ضعفي لتحلّ بي قدرة المسيح ... إذا ما كنت ضعيفًا كنت قويًا" (٢ قورنثس ١٢/٩ - ١٠).

هذه الاعتبارات الأولية ليست فعّالة، إذ يغلب عليها طابع العموميّات، لذلك علينا أن ندخل في التفاصيل لنرسخ فينا موقف الحذر من أنفسنا الذي أساسه ثقنا المطلقة بالله. فبعد إلقاء نظرة إلى مريم، سنستعرض بعض القيم الإنجيلية التي لها الأولوية في حياتنا المسيحية كما نعيشها يوميًا بشكل محسوس: الإيمان والرجاء والمحبة والتجرد وقبول الآلام والخدمة الأخوية.

وهكذا نحصل على الفصول الثمانية التالية:

- ١- "قالت ليسوع أمّه: لم يبقَ عندهم خمر" (يوحنا ٣/٢)
- ٢- نقص في الإيمان: "يا قليلي الإيمان ... " (متى ٨/٢٦)
- ٣- نقص في الرجاء: "كنا نحن نرجو ... " (لوقا ٢٤/٢١)
- ٤- نقص في المحبة: "أيما مرّة لم تصنعوا ذلك" (متى ٢٥/٤٥)
- ٥- وماذا عن حبنا الزوجي؟ "إذا كانت حالة الرجل مع المرأة هكذا ... " (متى ١٩/١٠)
- ٦- وماذا عن التجرد؟ "لا تستطيعون أن تعملوا لله وللمال" (متى ٦/٢٤)
- ٧- وماذا عن قبول الألم؟ "أما كان يجب على المسيح أن يعاني هذه الآلام" (لوقا ٢٤/٢٦)
- ٨- وماذا عن معنى الخدمة؟ "يجب عليكم أنتم أيضًا أن يغسل بعضكم أقدام بعض" (يوحنا ١٣/١٤)

وبالرغم من أن الخدمة جاءت في المرتبة الأخيرة من دروب البحث المقترحة، فيجب ألا ننسى أنها جوهرية في الفرقة. وبطبيعة الحال، إن روح الخدمة هي التي يجب أن تحرّكنا طيلة لقاءاتنا كيلا يقتصر تفكيرنا على تحضير الموضوع على الصعيد الزوجي وعلى الإصغاء المرهف والمهذب إلى آراء أعضاء فرقنا في أثناء الاجتماع، وإنما كي ينشأ بيننا حوار حقيقي، وعندئذ تكون "عملية الحقيقة" صحيحة، وتدفعنا إلى النمو في إيماننا ورجائنا ومحبتنا ... إلى أن نتّوج في الخدمة.

يشتمل كلّ فصل في هذا الموضوع على أسئلة وأفكار تفيد البحث على الصعيد الزوجي وعلى صعيد الفرقة، كما تفيدنا العودة إليها بشكل من الأشكال، والتطرّق إليها مع الأولاد.

### "الأشخاص المستقيمون" لا يتبلّلون بالنعمة (تفرز الروح الفريسيّة درعاً كتيمة تمنع نفاذ النعمة.)

رأينا عطايا النعمة المدهشة تخترق نفوساً رديئة وحتى نفوساً شريرة فتعمل على خلاص من كان يبدو هالكا. إلا أننا لم نر تبّل ما كان مطلياً أو اختراق ما كان كتيماً أو إكساب عادة لمن كان معتاداً غيرها.

رائع هو ما تحقّقه النعمة من أنواع الشفاء والنجاح والإنقاذ، وقد عاينا خلاص من كان في حكم الهالك. بيد أن أسوأ حالات البؤس وأبشع الحفارات والأعمال الشائنة والجرائم وحتى الخطيئة تكوّن في أغلب الأحيان نقطة الضعف في درع الإنسان فتستطيع النعمة أن تخترق قساوته من خلالها، بينما نرى أنه على درع العادة ينزل كل شيء ويكلّ كل سيف (...).

أمور عديدة يمكن تحقيقها، ولكن لا يمكن تبليل قماش صنّع كتيماً، فهو لا يتأثر بالمياه مهما بلغت كميتها. القضية إذاً ليست قضية مقدار، بل قضية تماس واتصال، أي إمّا أن يحصل اختراق في نقطة تماس معيّنة أو لا يحصل. وتسمى هذه الظاهرة الغريبة للغاية: "التبّل" [...].

من هنا تأتي هذه الكمية الكبيرة من النقص - ذلك بأن النقص نفسه له مسببات- الذي نلاحظه في فعالية النعمة فنراها تحقّق انتصارات غير متوقّعة في نفوس كبار الخطاة، في حين تبقى غالباً غير فعّالة عند أكثر الناس نزاهة. والسبب يكمن بالضبط في كون أكثر الناس نزاهة، أو المستقيمين منهم، أو الذين تطلّق عليهم هذه الصفة، أو يطلقوها على أنفسهم، لا يُبدون عيوباً في دروعهم. إنهم خالون من الجروح، ولهم جلد من الأخلاق يكون سليماً دائماً، ويشكّل لهم درعاً لا يشوبها عيب. ولا تظهر عليهم تلك الثغرة التي سببها جرح بالغ، أو بؤس عميق، أو ندامة لا تقهر، أو خياطة عمل جراحي لا تلتئم أبداً، أو انشغال بال قاتل، أو قلق كامن، أو مرارة خفية، أو انهيار محجوب باستمرار، أو ندبة لن تلتحم، كما أنهم لا يتصوّرون أنّ الخطيئة هي المدخل الأساسي للنعمة لأنهم سالمون من الجروح وبمناى عنها. لا يقدّم إليهم شيء لأنه لا ينقصهم شيء، ولأنه لا ينقصهم شيء لا يقدّم إليهم ما هو كلّ شيء. فمحبّة الله نفسها لا تضمّد من هو خال من الجروح.

لأنّ الرجل كان مرمياً على الأرض أسعفه السامريّ ، ولأنّ وجه يسوع كان ملوثاً مسحته القديسة فيرونيكا بمنديل ، فمن لم يقع لن يتمّ إسعافه أبداً، ومن لم يكن ملوثاً لن يتمّ تنظيفه.

"فالناس المستقيمون" لا يتبلّلون بالنعمة ... (شارل بيغي Charles Péguy)

"طوبى للفقراء": طوبى للذين لا يكتفون بأنفسهم أو لا يزال فيهم فراغ، فيستطيع الله أن يملأه ... إنّ هذا لا سواه، يتيح الله أن يتدخّل. فالله لا يفرض نفسه أبداً، وما ينقصنا هو نداء إلى الله لكي يتجلّى.

من أقوال ماري-فرانس موريشون

(Marie- France Mourichon)

## الفصل الأول

### قالت يسوع أمّه: "لم يبقَ عندهم خمر"

(يوحنا ٣/٢)

"ليس عندهم خمر" أو "لم يبقَ عندهم خمر"؟

جاء في النص اليوناني لهذا المقطع من إنجيل يوحنا: "ليس عندهم خمر". والمقصود ضمناً: كان ذلك في الوقت الذي تكلمت فيه مريم. وبما أنّ الحديث تناول في آن واحد الخمرة التي نقصت، ثم الخمرة الأكثر جودة من سابقتها، فمن الصواب تمامًا أن يُترجم النصّ اليوناني، كما فعل كثيرون من علماء الكتاب المقدّس، كما يلي: "لم يبقَ عندهم خمر"، والواقع أنّ كلّ ترجمة من الترجمات تركّز على وجه من "الآية". فعبارة "ليس عندهم" تشير إلى التجديد الكلّي الذي أتى به المسيح (وهذا ما تؤيّد المقارنة بالعشاء السريّ)، بينما تدلّ عبارة "لم يبقَ عندهم" على اتّصال العهدين القديم والجديد الواحد بالأخر وعلى تحقيق الأوّل في الثاني، وسوف نتطرّق إلى هذه النقطة في السنوات القادمة.

غالبًا ما تكون قراءتنا للإنجيل سطحيّة، إذ نميل إلى التوقّف عند معناه النفسي، وحدث قانا مثلاً على ذلك. ماذا نرى للوهلة الأولى؟ نرى عرساً تنقص فيه الخمرة ونرى امرأة، هي مريم، تلتفت إلى الآخرين وتلاحظ هذا النقص، فتطلب إلى ابنها أن يتدخّل، وهذا ما فعله بطريقة غير مألوفة. لا بأس في ذلك، إنّما هناك أمر أهمّ بكثير: فتاريخ الخلاص كلّه يندرج في هذه الحادثة التي قامت فيها مريم بدورها. دعونا نحاول استخلاص المعنى المقصود كي نتوضّح أفكارنا لهذا العام بصورة مناسبة.

مريم هي التي أمّنت، وهذا ما يؤكّده الإنجيل كلياً في شأنها. وقد ارتكز البابا يوحنا بولس الثاني بوجه خاص على هذا الإيمان في رسالته: "أمّ الفادي". كما عبّرت عنه أليصابات بصورة جليّة، إذ قالت: "طوبى لك، يا من أمّنت بأنّ ما بلغها من عند الربّ سيتمّ (لوقا ١/٤٢-٤٥). لا شكّ في أنّ مريم هي أمّ الله لأنها أعطت ابن الله جسداً، ولكن هذا بالذات هو من ثمار إيمانها. وكما قال القديس أوغسطينس، إنّ مريم احتضنت يسوع في قلبها قبل أن تحتضنه في أحشائها... وتغذى إيمانها بما عاشته وشاهدته وسمعتة، وهي "تحفظ كل شيء في قلبها" (لوقا ١/٥١): حبّلتها العجيب، تأثير زيارتها إلى أليصابات، اختفاء يسوع في الهيكل، بشارة يوحنا المعمدان... وها هو ابنها يدشن حياته العلنيّة بعد ثلاثين عاماً من الصمت. فتبعته وإيمانها المشيحي به هو الذي أملى عليها تصرّفها في عرس قانا. ألم يكن هذا العرس فرصة سانحة لتظهر حقيقة ابنها؟

إنّ قدوم يسوع وتلاميذه إلى قانا (وربّما تسبّب ذلك في حصول النقص في الخمر) لم يكن قدوماً عادياً، بل يندرج في نطاق الانتظار المشيحيّ لشعب بكامله. بدأ الناس، قبل ذلك، يتحدّثون عن يسوع مذ سمعوا بشارة يوحنا المعمدان التي هزّت فلسطين، ممّا يفسّر سلطة أمّه مريم التي تجاوزت المشرف على الوليمة. لماذا تدخّلت؟ أرغبةً منها في إنقاذ العروسين من الخجل؟ قد يكون ذلك، ولكن ثمة أمر آخر أكثر أهميّة، إذ كانت مريم تهدف إلى أعلى من ذلك، إلى تجلّي يسوع وإلى إيمان تلاميذه به في أعقاب المعجزة. وهذا هو المغزى الذي خلّص إليه القديس يوحنا من تلك الحادثة: "فهذه أولى آيات يسوع أتى بها في قانا الجليل، فأظهر مجده فأمن به تلاميذه" (يوحنا ١١/٢).

تتنبّه مريم إلى صغائر أمور الدنيا، بيد أنّها تميّز من خلالها "آيات" الله. لقد أدركت في قانا أنّ زمن المسيح قد حان وبذلت كلّ جهدها لتسهيل مجيئه.

كان تدخّل مريم حاسماً، وكان جواب يسوع غريباً فعلاً شغل العديد من شرّاح الإنجيل فقد كان موجّهاً مباشرة إلى إيمانها: "ما لي ولك أيتها المرأة؟ لم تأتِ ساعتِي بعد".

وبعبارة أخرى أراد يسوع أن يقول: سوف أنجز ما تطلبين منّي فأظهر مجدي كما تتمنين. وبالفعل، لم تتردّد مريم في فهم معنى جوابه، فقالت للخدم: "افعلوا ما يأمركم به". ولكنّ يسوع، في الوقت عينه، حدّر مريم من سوء تأويل هذه الآية قائلاً: "لم تأتِ ساعتِي بعد"، وهذه الساعة لا يعرفها أحد سوى الأب وسوف تتألّق مجدداً على الصليب. أمّا مريم فهي في ساعة قانا، في أوّل ظهور لابنها، لم تصل بعد إلى ساعة الصليب التي تلقت نبأها في الإيمان. في تلك الساعة، ساعة الصليب، ستكون حاضرة كذلك، وسوف يناديها يسوع مرّة أخرى: "أيتها المرأة"، بينما يتحقّق العرس الأزلي بين الله والجنس البشري، العرس الذي رمز إليه عرس قانا. ففي قانا، كانت مريم موضع تعليم ابنها الذي أراد إدخالها كلياً في مخطّطه.

وتتابع مريم تدخّلها لدى ابنها لأجلنا. وذلك للغرض نفسه، أي كي يتجلّى لنا وكي نؤمن به. إنّها تنشّغ لنا بإرشادها يسوع نحو نقصنا كي يسدّه، في الوقت ذاته، كي يظهر لنا أنّه المخلص. وهكذا تؤدّي مريم دورها كامّ، فتوجّهنا نحو المسيح حتى نؤمن به ونحيا من حياته. سوف نسير إذاً برفقتها هذا العام ... من خلال نظرتها، نكتشف ما ينقصنا لنعيش حياة مسيحية ديناميّة، وبشفاعتها نحصل من ابنها على فيض من الخمرة الجديدة التي هي الحياة الإلهية بالذات.

### صلاة لاجتماع الفرقة (نبوءة إرميا ١٠/٣١ - ١٤)

" اسمعي كلمة الربّ أيتها الأمم، وأخبري في الجزر البعيدة وقولي: "الذي فرّق إسرائيل يجمعه ويحفظه كما يحفظ الراعي قطيعه". فإنّ الربّ قد افتدى يعقوب وفكّه من يد من هو أقوى منه. فيأتون ويهتفون في مرتفع صهيون ويجرون إلى طبيّات الله، إلى القمح والنبذ والزيت وأولاد الغنم والبقر، وتكون نفوسهم كجنة رياً ولا يعودون يذوبون. حينئذٍ تفرح العذراء بالرقص والشبان والشيوخ معاً، وأحوّل نوحهم إلى طرب، وأعزّيهم وأفرّحهم بعد غمهم، وأروي خلوق الكهنة من الدّسم وشعبي يشبع من طبيّاتي، يقول الربّ".

### للحوار بين الزوجين:

- تتابع مريم شفاعتها لنا أمام ابنها يسوع. - كيف نسمح لشفاعة مريم هذه أن تغيّر قلوبنا؟
- على مثال مريم، كيف ننظر إلى القرين، حتى نتمكّن من أن نكتشف ما هو عليه (طبيعته وجوهره ورووعته)، وما يريد الله ان يحقّقه في كلّ واحد منّا ...؟

## للحوار في اجتماع الفرقة:

- مريم هي التي آمنت واحتضنت في قلبها. في قانا، ميّزت آيات الله وتدخّلت لتجعل يسوع يتجلّى لتلاميذه. كيف نتلقّى نظرة الحبّ والرجاء التي تُلقِيها مريم إلينا؟ إلى أيّ اهداء تدعونا تلك النظرة؟
- مريم تنتبه وتهتمّ. بأيّ طريقة نحذو حذوها فننتبه إلى أولادنا وإلى العالم؟

## نصوص

### العيون التي يحبّها الله –

#### تأمّل

أنظر إلى مريم، إلى نظرة الله إليها، ليس من باب التخيل، بل في موقف من الإيمان. أتذكّر بيت الشعر الذي نظمه الشاعر الإيطالي "دانتي" Dante والذي قال فيه: "العيون التي يحبّها الله ويحترمها". إنّ حدس الشاعر اللامع هذا كفيّل بتغذية تأمليّ لمدة طويلة.

النظرة هامة جدّاً، جميع العشاق يعرفون ذلك. إنّها تجمّع الروح وتركّز الحبّ. ونشاهد في الإنجيل عدّة مقاطع تتحدّث عن نظرة يسوع: نظرته إلى الشاب حيث "نظر إليه وأحبّه"، ونظرته إلى بطرس الجاحد: "فالتفت الربّ ونظر إلى بطرس".

منذ الأزل، ينظر الله إلى مريم نظرة حبّ، نظرة خلافة، وللنظرتين مدلول واحد، فالله يخلق الجمال والنقاء والنبيل والشفافية. وفي ظلّ تلك النظرة تصبح ابنة الله أمّاً لابن الله، وتصبح الفتاة الصغيرة التي من طبيعتنا أمّاً للجنس البشري، أمّاً لأبناء الله. يا لها من روعة لا توصف بزغت تحت نظرة المحبّة الإلهية. فقد برز الكون تحت تلك النظرة، وبرزت معه هذه الفتاة التي هي أعظم من الكون. نعم يا مريم، ستطوّبك جميع الأجيال: طوبى لك لأنك نتيجة حبّ الله الباهرة. يقول القديس توما: لا يكتنّ الله حبّاً أعظم للإنسان الأفضل، بل يصبح هذا الإنسان أفضل لأن الله يحبه حبّاً أعظم". ومريم هي التي يحبّها الله حبّاً أعظم وينظر إليها نظرة حبّ أعظم.

تنظر مريم بدورها إلى الله وتستجيب لحبه بانطلاقه تنبع من كلّ كيانه الطاهر. إنّها الـ"نعم" التامة لمخطّط الله فيها وفي العالم. وقيل أن تنطق بالـ"نعم" تعبّر نظرته عن ذلك، هي نظرة روحها تلتقي نظرة الله التي عرفتها في الإيمان. فتجتمع النظرتان في ليلة الإيمان حيث تسبر حضور الله وتشعر به وتتلمّسه بنظرته التي لا ترى لكنّها تمتلئ يقيناً. طوبى للتي آمنت! ويسيل التسبيح ويفيض كالمياه الصامته التي تغمر كلّ شيء. مريم هي "نعم" الامتثال لنظرة الله، "نعم" تسبيح حبّ الله الذي هو حبّ حرّ كلياً. وتأتي نظرة نسيبتها أليصابات الملهمة لتحرّر سيل هذا التسبيح: "تُعظّم نفسي الربّ وتبتهج روعي بالله مخلصي لأنّه نظر إلى تواضع أمته، واسمه قدّوس!".

تنظر مريم إليّ بحنان وحبّ رائعين! فتعكس محبّتها محبة الله. تنظر إليّ بنظرة ابنها، نظرة الله البشرية. وتحت نظرته أنفتح وأنتعش أنا الخاطئ المنقوع. كلّ ما في حياتي من "لاءات" ومن أفعال رفض للحبّ ومن نظرات طمع نحو الكائنات، يذهب بعيداً عني: فأؤمن بأنّي مسامح، بل أعلم أنّه مغفور لي.

نظرة الأمّ التي تخصّني بها مريم تفتح لي طريق نظرة الله الأبوية ونظرته كأّم أيضاً. أعرف أنّ باستطاعتي أن أصبح كلّ يوم أكثر استجابة لله على غرار مريم وعلى مثال المسيح. أريد أن أسعى إلى تحقيق ذلك، أريد أن أبعد نظري عن نفسي لأوجّهه بدون كلل نحو الله ونحو البشر الذين تحيط بهم جميعاً نظرة الله الممتلئة محبة. "إنّه يندكّر رحمته".

أنظر إلى مريم، أنظر إليها وهي تنظر إليّ. ما أجمل هذا التبادل في النظرات! أذكر هذا الطفل الرضيع الذي غاصت نظرتة في نظرة أمّه. إنّه تبادل حبّ صامت لا ينضب. ليت تأملي يصبح مثل تلك النظرة! لا حاجة إلى الكلمات، لا حاجة إلى الجمل، إنّه نظرة إعجاب، نظرة حبّ، نظرة ترضى بأن تكون موضع حبّ. أمي أتيت فقط لأنظر إليك، لأغوص بنظري في عينيك اللتين يحبهما الله.

(جان ألمان، الحضور المسيحي، أيلول ١٩٧٧ - Jean Allemand)

من أقوال القديس برنار – Saint Bernard

ما دامت هي تحميك، فلا تخف!

« Puisqu'elle te protège, tu n'as pas de crainte. »

\*\*\*\*\*

### أقوال في الإيمان

• أعرف الآن وأشعر، بل أنا مقتنع بأنّ أعظم دليل حبّ يمكن تقديمه لله هو الاحتفاظ الدائم بهذا الفرح النابع من الثقة، إذ كيف يمكن لمن يحبه الله حقاً أن يكون حزيناً؟ إنّ هذا الحبّ يقوم مقام كلّ شيء بالنسبة إليه، كان الأب جان باتيست ماري فياني، كاهن بلدة آرس، يقول: " إنّ الربيع يسود باستمرار في النفس المتّحدة بالله. وإنّه من أجل الله يجب أن نحافظ على روح مزهرة.

(بانين، "اخترت الأفيون" J'ai choisi l'opium – Banine)

• وهكذا يا إلهي، لم يسبق لي أن خاطبتك. كيف حالك؟ إنّه لأمر غريب، فمنذ لقائي معك ما عدت أخاف الموت.

(صلاة وُجدت في جيب أحد الجنود الذين سقطوا في ساحة القتال)

• وسط تلك الكارثة، كان مرحاً إلى حدّ الفرح بسبب إيمانه القوي.

(بول بورجيه Paul Bourget، "قديس")

\*\*\*\*\*

## الفصل الثاني

### نقص في الإيمان "يا قليلي الإيمان..."

(متى ٢٦/٨)

لا بد أننا تأملنا مرارًا في حادثة "تسكين العاصفة" التي رواها الإنجيل. كان يسوع وتلاميذه في سفينة وسط بحيرة جنيسارت وكان يسوع نائمًا. وإذا عاصفة تهب فجأة فجزع التلاميذ وأيقظوا يسوع وصاحوا من هولهم. فقال لهم يسوع: " ما لكم خائفين، يا قليلي الإيمان؟" نحن نتخبط بدورنا في زواج العالم الحاضر وإيماننا بالمسيح لا يقاومها إلا بصعوبة. ألا نستحق نحن أيضًا أن يلومنا المسيح فينعتنا بقليلي الإيمان؟ من المفيد أن نعي هذه الناحية في حياتنا.

لا شك في أننا مؤمنون، ومن الصواب الإقرار بذلك، ومن اللائق أيضًا رفع آيات الشكر، فهذه عطية خارقة. هل نُقدّر ما حظينا به من إيمان بالمسيح وبما يكشفه لنا؟ لا بد لنا من إنعاش قناعتنا بعظمة هذه النعمة الفائقة. هل نشير، مثلاً، إلى الذكرى السنوية لمعموديتنا بعلامة خاصة؟ ويجدر بنا أن نتساءل هل كان سبب بعض الثغرات في إيماننا يعود إلى كوننا نهمل عمليًا قيمة العطية التي حصلنا عليها والتي لا تضاهي.

هناك أولاً نقص في الحزم الذي يعترى إيماننا. وكثيرًا ما يشير العهد الجديد إلى مثل هذا الحزم وإلى الثقة التي ترافقه، وقد أبدى يسوع نفسه إعجابه حين لاحظ مثل هذا الإيمان عند قائد المائة الروماني (متى ١٠/٨) وعند المرأة الكنعانية (متى ٢٨/٥). وذكر سفر أعمال الرسل في مناسبات عدة القوة والثقة اللتين يضيفهما الروح القدس على الإيمان: إنها حالة الرسل بعد العنصرة (رسل ١٣/٤) واسطفانس (رسل ٥/٦) وبرنابا (رسل ١١/٢٤) الخ ...

ويقرّ القديس بولس بذلك علنًا بالنسبة إلى هشاشة وضعه ذاتها: "وقد مثلتُ بين أيديكم وبني ضعف وخوف ورعدة شديدة ولم يعتمد كلامي وبشارتي على أسلوب الإقناع بالحكمة، بل على ظهور الروح والقوة، كيلا يستند إيمانكم إلى حكمة الناس بل إلى قدرة الله" (١ كورنثس ٣/٢ - ٥).

الإيمان هو يقين يستند إلى كلام الله، لكنّ عصرنا يسعى إلى زعزعة قوة الإيمان عند المؤمنين. بات الناس يتدّرعون بضرورة البحث فينسون أنّ هذا البحث، بالنسبة إلى المسيحي، يتمّ في إطار عقيدة أساسية. وقد فتك "فحول الشك" في عقول الناس، وجعلوهم يظنون اليوم أنّ النظر بعين الارتياب إلى عدد لا يستهان به من الحقائق، أصبح أمرًا مستحسنًا. ألسنا مصابين بعدوى هذه البيئة المدمرة؟ ألا يفرض إيماننا بالشكوك التي تبثها النشرات والمقالات بوفرة، وحتى الكاثوليكية منها؟ لا شك في أنّنا نواجه سنواجه دائمًا صعوبات في فهم معتقداتنا. إلا أنّ "ألف صعوبة لا تكوّن شكًا واحدًا" كما قال الكاتب نيومان - Newman. يضاف إلى ذلك أنّ هناك تجارب الإيمان التي مرّ بها كبار القديسين فكانت لهم بمنزلة فرصة ليترسّخوا في الإيمان يومًا بعد يوم. وهذا ما يلاحظ عند القديسة تيريزا الطفل يسوع التي اعترفت في نهاية حياتها بين الظلمات التي كانت تعوص فيها فقالت: "أعتقد أنّني جاهدت بأفعال إيمان منذ سنة (وكانت فترة التجربة) أكثر ممّا جاهدته طوال حياتي".

للإيمان مضمون، فهو لا يعني أن ننتمي إلى شخص المسيح فحسب، بل أن نتلقّى منه أيضًا إحياءات عن الله والإنسان. وهذا ما صاغه التقليد المقدّس بشكل قوانين إيمان أوتمنت عليها الكنيسة (قانون إيمان الرسل، قانون إيمان مجعني نيقية والقسطنطينية). ثمّة أشخاص لا يتردّدون اليوم في الطعن في بعض مقاطع قانون الإيمان، رغبة منهم في إثبات أنّهم أذكى أو أنّهم مطلعون على أحداث الأمور. وباستطاعتنا أن نطرح على أنفسنا الأسئلة حول هذا الموضوع وحول موقفنا إزاء هذه الطعون.

إليك اختبارًا عمليًا لإيماننا حول نقطة حساسة في أيماننا الحاضرة: هل نؤمن بالكنيسة؟ ما هو موقفنا من أولئك الذين يقولون: "نعم للمسيح، لا للكنيسة"؟ كما لو كان من الممكن فصل المسيح عن كنيسته التي هي عروسه وجسده! هل نؤمن بأن الكنيسة رسالة في المحافظة على وديعة الإيمان. إنها الأم التي تنقل إلينا الحياة الإلهية بواسطة الأسرار. إنها أيضًا المعلمة التي تلقننا الحقيقة التي تلقننا من ربها، الكنيسة أم ومعلمة. ألا نميل إلى رفض هذه المهمة التعليمية التي تقوم بها الكنيسة؟ لا يُطلب منا أن نكون "أكثر كثافة من قداثة البابا" وأن نتصور أن الكنيسة - المراتب والسلطة - معصومة من الخطأ في كل ما تقوله. لكن الرب أعطى أمنا الكنيسة القدرة على إرشادنا في شرح الكتب المقدسة، الأمر الذي يتيح لنا أن نؤمن بلا تردد بوجود المسيح الحقيقي في الإفخارستيا وبصحة جميع الحقائق التي تقدمها لنا الكنيسة "كعقائد".

ثمة سؤال أخير وحاسم: هل يتسم إيماننا بالفرح؟ ربما سمعتم مجموعة محاضرات الأب فاريون - Varillon المعنونة عنوانًا بليغًا: "فرح الإيمان"، أو لعلمكم قرأتم تأملات الأب فالانسان - Valensin بعنوان: "الفرح في الإيمان". إن الإيمان باعتباره ينطوي على اليقين بوجود الله وبحبه لنا، هو مصدر لا ينضب من الفرح والبهجة. هناك قول مأثور جاء فيه: "القديس الكئيب هو قديس بائس" - Un saint triste est un triste saint. بيد أن على كل مؤمن أن يجاهر بذلك. لقد صلى يسوع لأبيه من أجل أن يحلّ الفرح على تلاميذه: "أما الآن فأني ذاهب إليك وأقول هذا الكلام وأنا في العالم ليكون بهم ما بي من الفرح التام" (يوحنا 13/17). وجعل القديس بولس الفرح ميزة من ميزات الإنسان المسيحي حيث قال: "افرحوا دائمًا" (1 تسالونيقي 16/5). وكيف لا نفرح وقد تلقينا "البشرى"! لنطرح على أنفسنا السؤال الآتي: هل تظهر على ملامحنا علامات الفرح باعتبارنا نلنا خلاص المسيح، كما يطالب الفيلسوف نيتشه - Nietzsche أتباع يسوع؟ على خلاف ذلك، يجب أن نسارع إلى الصلاة مع الرسل: "يا رب، زدنا إيمانًا" (لوقا 5/17) أو مع والد الصبي المصاب بالصرع: "أمنت، فشدد إيماني الضعيف" (مرقس 24/9). لنتضرع إلى مريم كما فعل القديس لويس ماري غرينيون دي مونفور (St Louis - Marie Grignon de Monfort) فنقول: "يا والدة الإله القديسة، أيتها العذراء الطاهرة الوفية، انقلي إليّ إيمانك الذي سيعطيني الحكمة فتأتي إليّ جميع الخيرات" (نشيد لأجل الحصول على الحكمة).

يا رب، أشكرك من أجل هذا الإيمان الذي منحنتي إياه، نمّه فيّ، زده حتى يحول حياتي برمّتها ويشعّ على كل من هم حولي.

### صلاة لاجتماع الفرقة (متى 8 / 23 - 27)

"فركب يسوع السفينة فتبعه تلاميذه. وإذا البحر قد اضطرب اضطرابًا شديدًا حتى كادت الأمواج أن تغمر السفينة. وأما هو فكان نائمًا. فدنوا منه وأيقظوه وقالوا له: "يا رب، نجنا، لقد هلكنا". فقال لهم: "ما لكم خائفين، يا قليلي الإيمان؟". ثم قام فزجر الرياح والبحر، فحدث هدوء تام. فتعجب الناس من ذلك وقالوا: "من هذا حتى تطيعه الرياح والبحر".

## للحوار بين الزوجين:

- تؤلف عائلتنا كنيسة صغيرة (كنيسة بيتية)، ويغذي إيمان واحدنا إيمان الآخر. كيف نساعد بعضنا بعضاً، عملياً، لتعمق في إيماننا ونعيشه في حياتنا اليومية؟
- يثير نمط حياتنا كزوجين وأسلوب تربيتنا لأولادنا تساؤلات وانتقادات جمة. من قبل من؟ ما هي ردة فعلنا تجاه هذه التساؤلات والانتقادات؟
- كيف نعيش أزمات حياتنا الزوجية؟ هل نستطيع توضيح ذلك؟ هل موت المسيح وقيامته هما بالنسبة إلينا المنارة التي تنير لنا كي نقرأ حياتنا على ضوءها؟ كيف؟

## للحوار في اجتماع الفرقة:

- الإيمان عطية من الله. إنه يقين يستند إلى كلام الله ونبع من الفرح لا ينضب. متى نشكر الرب على هذا العطاء الرائع؟ وكيف يكون ذلك؟
- ماذا نفعل كل يوم ليزدهر إيماننا ولينلقى "الماء والتلج" اللذين يغذيانه (أشعيا ٥٥/١٠-١١)؟ ماذا يمكننا أن نعمل؟
- ما هو موقفنا بالنسبة إلى الكنيسة وإلى إرشاداتها وتعاليمها؟ ماذا نحب فيها؟ ما هي الأمور التي تزعجنا؟ والتي نرفضها؟ والتي لا نفهمها؟

## نصوص

### الإيمان والإدراك

ليس الدافع إلى الإيمان كون الحقائق الموحاة تبدو صحيحة وقابلة للفهم في ضوء عقلنا الطبيعي، بل نحن نؤمن "بسبب سلطان الله الذي يوحى والذي لا يمكن أن يعش أو يعش. ومع ذلك ولكي يتطابق إيماننا مع إدراكنا، شاء الله أن تكون مساعداته الداخلية بواسطة الروح القدس مصحوبة ببراهين خارجة عن الوحي الإلهي" (المجمع الفاتيكاني الأول).

وهكذا فإن أعاجيب المسيح والقديسين والنبوءات وانتشار الكنيسة وقداستها وخصوبتها وثباتها، كل تلك الأمور "هي أيضاً براهين مصداقية تبين أن قبول الإيمان ليس حركة عمياء من الذهن" (المجمع الفاتيكاني الأول).

الإيمان ثابت، إنه أكثر ثباتاً من أية معرفة بشرية لأنه مؤسس على كلام الله بالذات، والله لا يعش. قد تبدو الحقائق الموحاة غامضة لذهن البشر ولخبرتهم، لكن "اليقين الذي يجلبه النور الإلهي أعظم من اليقين الذي يعطيه العقل الطبيعي" (من أقوال القديس توما الأكويني – Thomas d'Aquin). وقال نيومان – Newman: "عشرة آلاف صعوبة لا تكوّن شكاً واحداً".

يحاول الإيمان أن يفهم (القديس أنسيلم – Anselme): ومن الأمور الملازمة للإيمان أن يرغب المؤمن في معرفة من وضع فيه إيمانه معرفة أفضل وأن يفهم بصورة أفضل ما أوحى به. والمعرفة إذا ما ازدادت عمقاً تستدعي بدورها إيماناً أكبر يلتهب محبة باستمرار.

تفتح نعمة الإيمان "بصائر القلوب" (أفسس ١/١٨) من أجل إدراك قوي لمضمون الوحي أي لمجمل التدبير الإلهي وأسرار الإيمان وللصلة القائمة فيما بينها ومع المسيح الذي هو مركز السر

المكتشف. "الروح القدس بالذات لا يفتأ يكمل الإيمان بمواهبه، لكي يتزايد عمق تفهم الوحي يوماً بعد يوم" (في الوحي الإلهي رقم ٥ - المجمع الفاتيكاني الثاني). وهكذا، وحسب تعبير القديس أغسطينوس الشهير "أؤمن كي أفهم وأفهم كي يزيد إيماني" (العظة ٤٣).

### الإيمان والعلم:

جاء في وثيقة المجمع الفاتيكاني الأول: "بالرغم من تفوق الإيمان على العقل، لا مجال لخلاف حقيقي بينهما. بما أن الله ذاته يوحى بالأسرار ويهب الإيمان، فهو الذي أنزل نور العقل في الذهن البشري، وهو لا يستطيع أن ينكر ذاته، كما أن الصحيح لا يستطيع أبداً أن يناقض الصحيح". وجاء في وثيقة المجمع الفاتيكاني الثاني - فرح ورجاء: "لذا فالبحث المنهجي، في كل فرع من فروع المعرفة لا يكون منافياً للإيمان إن قاده الإنسان بطريقة علمية صرفة مراعيًا قواعد الأخلاق: فالحقائق الدنيوية والحقائق الإيمانية لها مصدر واحد هو الله. وعلاوة على ذلك إن من يجتهد بثبات واتضاع في أن ينفذ إلى أسرار الأشياء، تقتاده يد الله، على غير علم منه، لأن الله يعضد كل الكائنات ويجعلها على ما هي عليه. (دستور راعوي - الكنيسة في عالم اليوم).

(التعليم المسيحي الكاثوليكي ١٥٦ - ١٥٩)

### إيمان الراشد روحياً وحرية

للإنسان المسيحي في الكنيسة حقوق الشخص وواجباته، ومن جملتها الحقوق والواجبات المتعلقة بالحرية وهي ليست الأخيرة بالتأكيد. دعونا نتطرق إليها كحرية داخلية تتعلق بصفة الشخص أو بكماله الحميم، وحرية خارجية.

إنَّ النقطة الأساسية بالنسبة إلى المؤمنين تكمن، في آن واحد، في واجبهم وفي حقهم المتعلق بهذا الواجب، بأن يصبحوا مسيحيين بالغين وأشخاصاً أحراراً. هاتان اللفظتان متعادلتان عملياً، فالحر هو من يمسك زمام أمور حياته بيده ولا يخضع لأيّ ضغط باستثناء ضغط ميله الخاص. قال القديس توما الأكويني - Thomas d'Aquin مردداً ما قاله أرسطو: "الحر هو من يحدد نفسه بنفسه". لكنَّ الإنسان الراشد - وأعني بالطبع الراشد الأخلاقي أو الروحي الذي يتمتع بمزية لا يصل إليها بالضرورة الراشد في السنّ - هو إنسان ما عاد في حاجة إلى من ينذره أو يدفعه أو يراقبه كي يتصرف. لمّا كنّا أطفالاً، كنّا نذهب إلى القديس بناء على توجيهات الآخرين. كثيرون هم، حتى الراشدون في السنّ، الذين يحضرون القديس الإلهي بسبب ضغط المجتمع أو القانون أو خوفاً من توبيخ أو عقاب. أمّا الإنسان الراشد روحياً، فيذهب إلى الكنيسة لأنه يعرف ما يفعل ويحمل في ذاته وفي كيانه الروحي معتقدات تبنّاها شخصياً تدفعه إلى الذهاب، لذا فهو يذهب إلى القديس بحرية.

إنَّ برنامج الحياة المسيحية الراشدة أو الإيمان الراشد إنّما هو برنامج ضخم ... وإنّ أعمق سرّ للمسيحية الراشدة يكمن في حيوية الإيمان لا في أيّ موقف ديني، وفي الإيمان بالإله الحي لا بالحاكم السماوي أو بالثابت الأبدي، أو بالمهندس الأعظم، أو بالكائن الأسمى ...

يحتاج عصرنا بشكل خاص إلى مسيحيين راشدين. إذا كان صحيحاً ما كتبه الأب ميرش- Mersh: "إن بعض الحيوانات تحيط نفسها بقوقعة أو بدرع لأنها بدون هيكل عظمي"، وإذا لاحظنا أنّه تتم إعادة النظر في كل مكان في هيكلية الكاثوليكية الاجتماعية القديمة التي زرعها أو فكّكها المجتمع الحديث والأحداث، نستطيع أن نستخلص أنه بات من الملح أن نوّقر، روحياً، هيكلًا متيناً لمسيحي عصرنا. وإذا كان على المسيحية أن تعيد بناء ذاتها وأن تحيا في أيامنا هذه،

فذلك لن يتمّ - ما لم يكن لتأمين بقائها على قيد الحياة - كما كانت الحال لدى المسيحية القديمة أي انطلاقاً من القوانين والأطر الاجتماعية وتعاطف السلطات العامة والضغط الاجتماعي، بل وبكل تأكيد انطلاقاً من القناعات الشخصية ومن شهادة المسيحيين وإشعاعهم (أي المسيحيين حقاً في داخلهم) ... نحتاج إلى راشدين حقيقيين يكونون أحراراً وقد حرّروهم الحق (راجع يوحنا ٨/٣٢).

(أيف كونغار، "إن كنتم شهوداً لي" - Yves Congar, si vous êtes mes témoins, P 38- 41)

كان جاك يقول لي: "سترى أنّه من السهل الارتقاء إلى الله،  
فباستطاعة الأطفال أن يفعلوا ذلك".

من أقوال ب. مولين P. Molaine ، "الشيطان مثل الصاعقة"

\*\*\*\*\*

### الفصل الثالث

## نقص في الرجاء: "كنا نحن نرجو..."

(لوقا ٢٤ / ٢١)

كم من مرّة رافقنا هذين الشابين اليائسين وهما يسيران على طريق عماوس عند حلول المساء! ... "كنا نحن نرجو" في الماضي، لقد انتهى كلّ شيء بعد أن شاهدنا ربّهما مصلوبًا على خشبة ... وها هو هذا الشخص المجهول يفاجئهما ويوجّه إليهما كلامًا يجلب الدفء إلى قلوبهما ... وماذا لو أخطأ التقدير؟ وماذا لو كانت آمالهما في بعث دنيوي لإسرائيل ليست سوى قناع لرجاء أوسع؟ واجهنا أو سوف نواجه ذات يوم مثل هذه الأزمة التي تنتاب آمالنا البشريّة. نحن أيضًا عقدنا الآمال على النجاح، على السعادة، لنا أو لذوينا. وهذا أمر مشروع. فالأمل دافع قويّ لحياتنا، دافع علينا الحفاظ عليه وصيانته، وعندما نشعر بالوهن العصبي، يعود ذلك إلى عطل في دافعنا الحيوي. ونعلم جميعًا، ربّما بنتيجة خبرتنا، أنّ الشفاء من هذا المرض صعب جدًّا، إذ يؤديّ إلى فقدان الرغبة في العيش وفقدان الأمل، فلا مشاريع ولا مبادرات ... يجب إذًا أن نسعى جاهدين إلى استعادة الأمل فهو يكوّن تربة الرجاء المسيحيّ البشريّة الخصبة، الرجاء الذي وصفه الكاتب بيغي-Péguy وصفًا جيّدًا في كتابه: "المدخل إلى سرّ الفضيلة الثانية".

مع ذلك يجب أن نتجاوز هذا الأمل الدنيوي لنصلّ إلى الرجاء الفائق الطبيعة الذي هو فضيلة إلهيّة. قد ينقصنا ما كنا نتوقّعه بشريًّا من نجاح وسعادة وإنجازات، فالرجاء هو أشبه بدعوة إلى أن ننظر إلى أبعد من أفقنا الزمنيّ. وقد يتحقّق لنا ما كنا نريده، فنذكر عندئذٍ أنّ ذلك لا يكفي لإرضاء توقّعاتنا، الأمر الذي يكوّن أيضًا دعوة إلى أن ننقل إلى الضفّة الأخرى.

رغم أنّ الرجاء المسيحيّ يترسّخ نفسيًّا في أملنا البشري، فهو من نوع آخر، كما قال الكاتب باسكال عن فضيلة المحبة. إنّ حقيقة رويّة سكبها فينا الروح القدس، ويتوجّه نحو الله ونحو الخيرات الإلهيّة التي يعدنا بها، وهو يستند إلى الله باعتباره الوحيد القادر على منحنا مثل تلك الخيرات أو بالأحرى على أن يهبنا نفسه. وخلاصة القول، الرجاء المسيحيّ ينتظر الله من الله وباستطاعته إذًا أن ينشأ على أنقاض الأمل البشريّ أو على ما يحقّقه، فينقلنا من إطار الأمور البشريّة إلى إطار الحقائق الإلهيّة.

إننا مدعوّون إذًا إلى أن نتفحص رجاءنا. فالحقبة التي نعيش فيها تشيد بالنجاح الاجتماعيّ والمعرفة والامتلاك والسلطة على مختلف أشكالها، وقد أتاح التطوّر الماديّ لعدد كبير من الرجال والنساء في المجتمعات المتطوّرة أن يتوصّلوا إلى العيش بقدر معيّن من الرفاهيّة، ونلاحظ، بلا شكّ، أنّ هذا الصرح يتصدّع يومًا بعد يوم، وأنّ هذه الرفاهيّة عابرة وأنّ عدد المنبوذين يزداد في المجتمعات المذكورة، إلّا أنّ هذا المجتمع لم يغيّر مثله الأعلى من جرّاء ذلك، ولا يزال أصحاب الامتيازات، ومعظمنا من هذه الفئة، يتمسّكون بها، ألم تنتقل إلينا عدوى هذا السعي الجامح إلى الربح وإلى السلطة؟ ألم ننس، في غمرة انهماكنا لبناء جتّة على الأرض، أنّه ليس لنا في هذه الدنيا محلّ إقامة دائمًا مستقرًّا وأنّ وطننا يكمن في مكان آخر؟ ألم يخفق أملنا البشريّ رجاءنا المسيحيّ إلى حدّ ما؟ ألا نستحقّ التائب الذي وجّه تيار دي شاردين - Theilhard de Chardin عندما قال: "أيّها المسيحيّون، ماذا فعلتم بالانتظار؟"

دعونا نختبر رجاءنا، ليتفحص كلّ منّا حياته اليوميّة: ماذا كانت اهتماماتي اليوم؟ لأجلي؟ لأجل أولادي؟ ما هو المكان الذي شغله الله في نهاري؟ في أفكاري وفي أفعالي على حدّ سواء؟ كم مرّة تركتُ فيها عملي لأرفع صرختي إليه؟ كثيرة هي الصرخات في المزامير: "يا ربّ، رجائي فيك

... أنتظر الربّ أكثر من انتظار الحارس للفجر... يا ربّ عليك توكلت، فما من شيء يخيفني...  
 وثرُجنا الصلوات الليتورجية، في كثير من الأحيان، إلى هذا الموقف الذي ننتظر فيه الخيرات  
 القادمة: "أيها الإله القدير والرحيم، لا تدع اهتمامنا بأشغالنا الحاضرة يعرقل مسيرتنا لملاقاة  
 ابنك، بل أيقظ فينا هذا الإدراك الذي يعمّ القلب فيهيئنا لاستقباله ويدخلنا في حياته". (الأحد الثاني  
 من زمن المجيء). وأيضاً: "أيها الإله القادر على أن تضع في قلوب المؤمنين بك رغبة وحيدة،  
 اجعل شعبك يحبّ ما توصي به وينتظر ما تعد به، حتى تستقرّ قلوبنا في تقاليد هذا العالم، وتثبت  
 حيث توجد الأفراح الحقيقية (الأحد العادي الحادي والعشرون).

وإذا كنّا نعانى من المحن في الوقت الحاضر، لنستمع إلى ما قاله جان فانويه - Jean vanier:  
 "بفقرنا الذي نواجهه به المستقبل، علينا أن نعتمد على ما اكتشفناه من أن الله يكمن في ضعفنا وفي  
 حقارتنا. عندما نكون أقوىاء مقتدرين نشعر بأنّه لا حاجة بنا إلى الله. أمّا إذا كنّا ضعفاء، فنكشف  
 كلّ معنى الإنجيل والبشرى ومعنى لقب عمانوئيل "الله معنا" (مجلة ظلال ونور، آذار ١٩٩٥).

### صلاة لاجتماع الفرقة (لوقا ٢٤/١٣-٢٤)

"واتفق أنّ اثنين منهم كانا ذاهبين، في ذلك اليوم، إلى قرية اسمها عماوس،  
 تبعد نحو ستة أميال من أورشليم. وكانا يتحدثان بجميع هذه الأمور التي جرت.  
 وبينما هما يتحدثان ويتجادلان، إذا يسوع نفسه قد دنا منهما وأخذ يسير معهما،  
 على أنّ أعينهما حُجبت عن معرفته. فقال لهما: "ما هذا الكلام الذي يدور بينكما  
 وأنتما سائران؟" فوفقا مكتئبين. وأجاباه أحدهما واسمه كلاوبا: "أأنت وحدك  
 نازل من أورشليم ولا تعلم الأمور التي حدثت فيها هذه الأيام؟ فقال لهما: "ما  
 هي؟" قال له: "ما حدث ليسوع الناصري، وكان نبياً مقتدرًا على العمل والقول  
 عند الله والشعب كلّه، كيف أسلمه أحبارنا ورؤساؤنا ليحكم عليه بالموت، وكيف  
 صلبوه. وكنّا نحن نرجو أنه هو الذي سيفتدي إسرائيل، ومع ذلك كلّه، فهذا هو  
 اليوم الثالث مذ حدثت تلك الأمور. غير أنّ نسوة منا قد حيرننا، فإنهنّ بكرنّ إلى  
 القبر، فلم يجدن جثمانه، فرجعن وقلن إنهن أبصرن في رؤية ملائكة قالوا إنّه  
 حيّ. فذهب بعض أصحابنا إلى القبر، فوجدوا الحال على ما قالت النسوة. أمّا هو  
 فلم يروه".

### للحوار بين الزوجين:

- ما هي أحداث حياتنا الزوجية التي امتحنت رجاءنا؟
- كيف كانت مساعدة القرين لنا؟ ما هي المساعدة التي كنّا ننتظرها منه؟
- هل نسعى إلى عدم تلبية رغبات أولادنا بالسرعة المطلوبة، حتى نعلمهم الانتظار المفرح؟  
 هل نكلّمهم عن ذلك؟ ألدنا أمثلة عملية؟

### للحوار في اجتماع الفرقة

- في حياتنا اليومية، نتعرّض لصعوبات وتجارب قد تزعزع رجاءنا. ألدنا أمثلة حسية على ذلك؟

- كيف نميّز بين الأمل البشري والرجاء المسيحي؟ هل ساعدتنا بعض أحداث حياتنا على إدراك هذا الفرق؟

## نصوص

### صلاة أرومة شجرة

يا ربّ، أرفع إليك صلاة الأرومة.  
إنّها هنا على جانب الطريق، مجذومة، مشدّبة، منجورة، مطروقة. إنّها لا تقول شيئاً. وما عساها أن تقول؟  
ليست نظيفة، ولا ظريفة، ولا منتظمة، لكنّها جميلة، جميلة بكتافتها، جميلة بثقلها ووفائها.  
تشهد لما هي بكلّ بساطة، راسخة في الأرض وملاصقة للتراب.  
كلّ شيء فيها قدرة ترتفع نحو السماء، ومع ذلك لا ينبت فيها أي برعم أو زهرة. ولكن كلّ شيء ممكن لأنّها أساس الحياة.  
يا ربّ، أرفع إليك صلاة الأرومة.  
كنت أحلم أن أكون الغصن أو الزهرة، إلّا أنّك شئت أن أكون الأرومة الثقيلة والمجهولة، المغطّاة بالتراب، شهادة صامتة للحياة القادمة.  
أرضي بالألّا أخطى سوى بالنظرات العابرة وأن أبقى ثقيلة، إنّما موجودة بك ولأجلك ولأجل الحياة التي تضعها فيّ والتي تنبع مني دون أن أعلم.  
وبعرفان جميل لا نهاية له، في الفرح، والسلام، والحبّ، متّجّها نحوك يا ربّ، أرفع إليك صلاة الأرومة.

### حاملو رجاء

على شفاهنا نجد في كلّ المناسبات فكرة تلميذّي عماوس المحرّرة من الوهم: "كنا نحن نرجو ... ومع ذلك ..." (لو ٢٤/٢١).  
ذلك لأننا نسينا وأغفلنا ما في المسيحيّة من دعوة إلى الرجاء. يجب أن نميّز بين الرجاء والتفاؤل الساذج، فالرجاء لا ينكر أبداً الشرّ والخطيئة في العالم، بدءاً منا نحن بالذات، وهو بعيد عن سياسة النعمة (التي تأتي مجابهة الخطر).  
بيد أنّ الشمس تبقى شمساً رغم الضباب والليل والغيوم التي تحجبها. يكفيني شعاع واحد لأؤمن بالشمس إذ أستشفت من خلال ضوءه عالمًا من النور والدفء. كثيرون في عصرنا يعيشون القلق والخوف والنقد الهدّام من طرف واحد، ونادراً ما يرفعون رؤوسهم لينظروا إلى النجوم في الليل. عديون أيضاً هم المسيحيون الذين ينسون أن يرفعوا أنظارهم إلى فوق، فلا غرو إذاً، أن لا تسطع نجمة بيت لحم فوق رؤوسهم أو في قلوبهم. يجب ألاّ تدوم هذه الفترة من الكسوف والظلام. نحن نحتاج إلى النور لتقدّم على الطريق ونحتاج إلى الرجاء مثلما نحتاج إلى الخبز ...

إذا رضي المسيحيون أن يكونوا حملة رجاء، سيصبحون في العالم كالمشاعل في الليل، فإن لم يختلط الرجاء المسيحي المغدّى بالنسغ الإلهي بالأمل المجرد أو التفاؤل البشري، فإنه سيعطيه نوراً أشدّ ويجعله يلمح أفاقاً لم تخطر بباله من قبل. يهَيئ الله للإنسان "ما لم تشاهده عين وما لم يفطن له قلب بشري وما يتجاوز أحلامه". الرسالة كلها تكمن في هذه الكلمات: الله يحبنا حباً يفوق أيّ تصوّر، الله أكبر من قلبنا ومن تفكيرنا ومن توقّعاتنا. إنّه يتخطّى نطاقنا الضيق، لكنّه يتكيف معنا بصبر. يريد أن يسير معنا على الطريق، على جميع طرق الناس الذين يذهبون من أورشليم إلى عمّوس، إنّه لا يستاء من أقوال تلاميذه المتشائمة بل لديه ما يقوله لهم ليحرّك مشاعرهم، ويجعلهم يشتعلون في داخلهم، ويخلصهم من قصر نظرهم ومن انهزاميّتهم. وما يقوله لهم ويكرّره هو أنّ الله يفي بوعوده، وأنّ الموت ما عاد الكلمة الأخيرة منذ يوم الجمعة العظيمة، وأنّ في نهاية دروبنا كلها رجاءً عظيماً يحلّق فوق رؤوسنا كقوس قزح. هذا الرجاء يسمّى "الفصح"، إنه وعد واستباق.

لا يحقّ للمسيحيّ أبداً أن ينسى ذلك أو أن يحتفظ بالرسالة لنفسه دون سواه، بل عليه أن ينقلها إلى أورشليم، على مثال تلميذي عمّوس، بناء على أمر المعلم. وبعد أورشليم، ينقلها إلى كلّ مكان "إلى اليهوديّة والسامرة"، أي بلغة اليوم، إلى قلب القارات الخمس.

(الكردينال سوينس، "باستوراليا- راعويات"- 1973, PASTORALIA, Cardinal Suenens)

\*\*\*\*\*

## الفصل الرابع

### نقص في الحب: "أيما مرة لم تصنعوا ذلك ..."

(متى ٤٥/٢٥)

لا بدّ من الوقوف في نهاية الدرب لكي نفهمه. وإلى هناك يقودنا يسوع بمثل "الدينونة العظمى" (متى ٢٥ / ٣١ - ٤٦)، الذي يستجوبنا، والذي يتعدّر علينا أن نستمع إليه من دون أن نتساءل عن سلوكنا اليوميّ، ومن دون أن نكتشف "ما لم نصنعه"، لتجنّب وضع القناع على وجوهنا، ففي مجال الحبّ الذي هو قلب المسيحيّة، علينا أن نجعل من إدراكنا نقصنا، نقطة انطلاق لزيادة ثقنا بالمسيح المخلص.

وفي هذا المجال، كما في المجالات السابقة، نحتاج إلى تقوية معتقداتنا. نعلم أنّ الحبّ يأتي في المركز الأول، إلّا أنّنا لا نعيشه حقاً. لكنّ الإنجيل صريح جداً من هذه الناحية ويتضمّن بهذا المعنى أقوالاً كثيرة لیسوع، منها: "أحبّ الربّ إلهك بكلّ قلبك وكلّ نفسك وكلّ ذهنك. تلك هي الوصيّة الكبرى والأولى. والثانية مثلها: أحبّ قريبك حبك لنفسك. بهاتين الوصيتين ترتبط الشريعة كلّها والأنبياء" (متى ٢٢/٣٧-٤٠). وأيضاً: "إليك وصيّة جديدة: فليحبّ بعضكم بعضاً وليكنّ حبّ بعضكم لبعض كما أنا أحببتكم" (يوحنا ١٣/٣٤). وفي المثل المشار إليه في ما سبق، تأخذ الدينونة طابعها المأسوي في التفريق بين الذين أحبوا إخوانهم عملياً والذين لم يحبّوهم.

كان القديسون الذين بذلوا جهدهم ليعيشوا الإنجيل صدقاً لهذا التعليم الذي أوصى به المسيح. هل نظر كفاية إلى حياة القديسين، قديسي الأوس وقديسي اليوم؟ هل نننّب لأقوالهم؟ يقول لنا القديس يوحنا الصليب: "في نهاية هذه الحياة سوف تُدان على المحبة وفقاً لما أبديناها من حبّ". بعده ببضعة قرون، تقول القديسة تيريزا الطفل يسوع في آخر حياتها القصيرة: "قلت لكم كلّ شيء وتمّ كلّ شيء، الحبّ وحده هو المهمّ". ونكون قد خطونا خطوة كبيرة إذا جعلنا لهذا اليقين مقاماً بيننا وإذا اتخذنا منه محرّكاً لحياتنا.

غير أنّنا ندرك بسرعة أنّ الحبّ صعب، والصعوبة تكمن أولاً في حبّنا لأنفسنا الذي هو شرط لنحبّ الآخرين. تُساورنا مخاوفٌ نعيها إلى حدّ ما، لكنّها تشلّنا، وغالباً يعود مصدرها إلى الماضي السحيق. فمن واجبنا أن نسلط الضوء عليها، وأن نلجأ عند اللزوم إلى المعالجة النفسيّة. إنّنا مجروحون في داخلنا ونحتاج إلى شفاء، ولا يجوز لنا إهمال الوسائل البشريّة لتحقيقه. علينا ألاّ ننسى أنّ أفضل وسيلة لمداواة جروح قلوبنا هي علمنا بأنّ الله، إله يسوع المسيح، يحبّنا شخصياً حباً لا نهاية له، كما أنّ أفضل معالجة لحبّنا هي الإكثار من التفاتنا نحو المسيح ومن تأملّه والتضرّع إليه: فهو لا يطلب منا أن نحبّ على مثاله وحسب، بل يعطينا قلبه بالذات كي نحبّ، نحبّ أنفسنا كما يجب، ونحبّ الآخرين حبّنا لأنفسنا أو بالأحرى على مثال حبّ المسيح.

وتكون تلك المخاوف التي تجمّد حبّنا لأنفسنا أشدّ وطأة عندما نرغب في أن نفتح قلوبنا للآخرين، ولا بدّ من الاعتراف بأنّنا معاقون بالنسبة إلى الحبّ. ونشعر بذلك إذا كان الآخرون الذين يُطلب منّا استقبالهم وحبّهم يختلفون عنّا. من الصعب جداً أن نقبل جروحنا، ولكن يجب أن نقوم كلّ يوم بخطوة صغيرة على طريق الحبّ، مع مراعاة ضعفنا. وهذا ما أشار إليه الكاتب بيغي - Péguy عندما قال: "لا يمكن أن نتقدّم إلاّ خطوة بعد خطوة"، وينطبق هذا على الدرب المؤدّي إلى حبّ الآخرين، على غرار جميع الدروب الأخرى.

يمثلّ خمر عرس قانا بخاصة صورة هذا الحبّ الذي هو حياة الله ذاتها، حياته التي يهبنا إيّاها.

وهذا الحبّ الذي يشير إليه العهد الجديد بالكلمة اليونانية "Agapé" أي المحبة، لا يمكننا إلا أن نتلقاه من الله. وإذا ما اعترفنا أمامه بأننا لا نحسن أن نحبّ كما يجب، نكون قد وضعنا أنفسنا في حالة تتيح لنا استقبال الحبّ الذي يهبنا الله إياه وهو حبّه الخاص. ويبقى علينا بعد ذلك أن نطبّقه عملياً في علاقتنا مع الآخرين "إذا قال أحد: "إني أحبّ الله وهو لا يحبّ أخاه، كان كاذباً لأنّ الذي لا يحبّ أخاه وهو يراه لا يستطيع أن يحبّ الله وهو لا يراه". ( ١ يوحنا ٤/٢٠).

### صلاة لاجتماع الفرقة (متى ٢٥/٣١-٤٦)

" وإذا جاء ابن الإنسان في مجده، تواكبه جميع الملائكة، يجلس على عرش مجده، وتحشر لديه جميع الأمم، فيفصل بعضهم عن بعض، كما يفصل الراعي النعاج عن الجداء. فيقيم النعاج عن يمينه والجداء عن يساره. ثم يقول الملك للذين عن يمينه: "تعالوا يا من باركهم أبي، فرثوا الملكوت المعدّ لكم منذ إنشاء العالم، لأنني جعت فاطعمتموني، وعطشت فسقيتموني، وكنت غريباً فأويتموني، وعرياناً فكسوتموني، ومريضاً فعدتموني، وسجيناً فجنتم إليّ". فيجيبه الأبرار: "يا ربّ متى رأيناك جائعاً فأطعمناك أو عطشاناً فسقيناك؟ ومتى رأيناك غريباً فأويتنا أو عرياناً فكسوتنا؟ ومتى رأيناك مريضاً أو سجيناً فجننا إليك؟". فيجيبهم الملك: "الحق أقول لكم: كلما صنعتم شيئاً من ذلك لواحد من إخوتي هؤلاء الصغار، فلي قد صنعتموه" ... ثم يقول للذين عن اليسار: "إليكم عني، أيها الملاعين، إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته. لأنني جعتُ فما أطعمتموني، وعطشتُ فما سقيتموني، وكنت غريباً فما أويتموني، وعرياناً فما كسوتموني، ومريضاً وسجيناً فما زرتموني". فيجيبه هؤلاء أيضاً: "يا ربّ، متى رأيناك جائعاً أو عطشاناً، غريباً أو عرياناً، مريضاً أو سجيناً، وما أسعفناك؟" فيجيبهم: "الحق أقول لكم: أيما مرّة لم تصنعوا ذلك لواحد من هؤلاء الصغار، فلي لم تصنعوه". فيذهب هؤلاء إلى العذاب الأبدي، والأبرار إلى الحياة الأبدية".

### للحوار بين الزوجين:

- ما هو تقييمنا لنوعية انفتاحنا كزوجين؟ ألسنا منغلّقين على أنفسنا، على عائلتنا؟ أيّ استقبال نقدّمه، كزوجين، للآخرين؟
- كيف نصغي إلى الآخرين؟ (وما هي نوعيّة إصغائنا؟)

"أيها الحبّ، للتحدّث عنك، ستكون الأبدية قصيرة".

(أ. فروسار – A. Frossard ، الله موجود فقد التقيته)

### للحوار في اجتماع الفرقة:

- لنتذكّر أنّ الله يحبنا وأنّ حبّه هو الذي يحيينا وأننا نتصرّف من خلاله. هل نحن مقتنعون بذلك؟ هل نعكس هذا الحبّ بأمانة؟ وكيف؟

- ألا يحدث أن نغلق على أنفسنا؟ قليلاً؟ غالباً؟ بإفراط؟ ما هي العلامات التي تجعلنا نشعر بذلك؟
- ما هي الخطوات العملية التي نقوم بها تجاه الآخرين (جيران، زملاء، مرضى، طاعنين في السن...)?

"عندما تتلقَى النفس النور وتحاول أن تتطهّر من الحبّ الذي يأخذ كي ترتقي إلى الحبّ الذي يُعطي، لا بدّ أن تلتقي الله."  
(بيير فريني – Pierre Fresnay)

## نصوص

### أحبّيني كما أنت

أعرفُ بؤسك، أعرف ما تعانیه نفسك من صراعات ومحن، أعرف ضعف جسدك وعاهاته، أعرف جبنك وخطاياك وسقطاتك، ورغم ذلك أقول لك: "أعطني قلبك، أحبّيني كما أنت".  
إذا كنت تنتظر أن تصبح ملاكاً لتكرّس نفسك للحبّ، لن تحبّ أبداً. حتى لو وقعت في الأخطاء نفسها التي لا تودّ أن تعرفها أبداً، حتى لو كنت جباناً في ممارستك الفضيلة، لا أسمح لك بأن لا تحبّيني. أحبّيني كما أنت.

في أيّة لحظة ومهما كانت حالك... في الورع مثلما في جفاف القلب، في الأمانة وفي الخيانة، أحبّيني كما أنت.

أريد حبّ قلبك المعدم. إذا كنت تنتظر أن تصبح ملاكاً لتحبّيني، فلن تحبّيني أبداً.

ألا أستطيع أن أجعل من كلّ حبة رمل ملاكاً يسطع طهارةً ونبلاً ومحبةً؟ ألا يمكنني، بمحض إرادتي، أن أبعث من العدم آلاف القديسين أكثر كمالاً وحبّاً، ألف مرّة، من الذين خلقتهم؟ ألسنتُ الكليّ القدرة؟ لم يرقني أن أترك في العدم وللأبد تلك الكائنات الرائعة وأن أفضلّ عليها حبّك المسكين؟!!

يا بنيّ، دعني أحبّك، أريد قلبك. أريد أن أكونك، ولكن بانتظار ذلك، أحبّك كما أنت.

أريدك أن تفعل كما فعلت، أرغب في أن أرى الحبّ يتصاعد من أعماق بؤسك. أحبّ فيك حتى ضعفك. أحبّ الحبّ الذي ينبع من الفقراء. أريد أن تصدّر دوماً عن الفاقة والعوز هذه الصرخة: "يا ربّ إني أحبّك!" ما يهمني هو أن أسمع ترنيم قلبك. ما حاجتي إلى علمك ومواهبك؟ لا أطلب منك الفضائل، وإذا كنت قد أعطيتك بعضاً منها، فسرّيعاً ما ستظهر كبرياؤك لشدة ضعفك، فلا تقلق لذلك.

كان في وسعي أن أعدك لأمر عظيمة، ولكن لا...! ستكون الخادم البطلّ وسأخذ منك حتى القليل الذي في حوزتك، لأتي خلقتك للحبّ. أحبّ!

سيحملك الحبّ على القيام بما تبقى لك دون أن تفكّر في الأمر. فاسع إلى أن تملأ اللحظة الحاضرة بحبّك.

واليوم، ها إني أف على باب قلبك كالمستول، أنا ربّ الأرباب. أقرع وأنتظر، فأسرغ وافتح لي ولا تتذرّع ببؤسك. فإن أنت أدركت كنه فقرك، متّ حزناً. ما يجرح قلبي هو أن أراك تشك فيّ وتفقد ثقتك بي.

أريدك أن تفكر في ليل نهار، لا أريد أن تقوم بأي عمل مهما كان تافهًا إلا بدافع الحب. وعندما يكون عليك أن تتألم، سأعطيك القوة، فقد أعطيتني الحب وسأعطيك القدرة على أن تحب أكثر مما كنت تحلم به.

ولكن تذكر دائمًا: أحببني كما أنت!

### حب حقيقي وفعال

تفتضي المحبة أن يكون الآخر محبوبًا "حتى يكون في الله". هذا أمر منطقي، والوصية الثانية "أحب قريبك حبك لنفسك" (متى ٢٢/٣٩) تتطلب ذلك. لا يكون حبنا للصديق حقيقيًا إلا إذا كنا نتمنى له الخير الأكبر والأفضل. هذا لا يعني أننا نحاول فرض إيماننا عليه، فالإيمان عطاء من الله، إنه استجابة من الله للإنسان الحسن النية الذي يريد التخلص من الآلهة الكاذبة. يبقى أن نتاح له الفرصة ليتساءل عن معنى الحياة وعن دعوة الله.

إن حبنا للآخرين "كي نكونوا في الله" لا يستبعد رغبتنا في جعلهم أكثر إنسانية. أن نحبهم في الله يعني أن نحبهم لذواتهم ولكل ما فيهم. وأن نساعدهم على النمو بأية طريقة لا يعني أن نحاول استعبادهم وامتلاكهم. الحب في الله هو في حد ذاته حب شامل، وإذا تضمن الرغبة في تنمية الآخر، فإنه ينطوي أيضًا على احترام حرّيته وإيثارها. الانضمام إلى الله هو عمل حرّ في جوهره.

ليس التقرب من الآخر مناورة ترمي إلى استثماره ومحاصرته أو تطويقه، بل هو الاقتراب منه كما ندنو من روعة جديرة بالإعجاب أو زهرة تتفتح أو أمر ممكن يجب تسهيل تحقيقه.

لا يندع المرء بصحة الحب الذي يدعي الآخرون أنهم يكتونونه له. فالخبير المتعطر، مثلاً، لا يترك في النفوس أي أثر لامتنان أو لمودة، كما أنّ الرسول الذي لم يتجرد من الاعتقاد بأنه كامل، ولم يتخلص من تعصبه العرقي، يشهد شهادة عديمة التأثير. في حين أن الراهب من "إخوة يسوع الصغار" الذي أصبح، بدافع المحبة، أحد القرويين في الحجاز أو في أفريقيا السوداء، لا يلبث أن يحظى بتقدير الجميع ومودتهم.

إذا أحببنا الآخرين ليصبحوا أكثر إنسانية، وبشرًا إلى حد بلوغ الله، نكون قد احترمنا عندهم كل القيم وكل مراحل النمو اللازمة. وإذا أحببناهم كثيرًا وفعّلنا الكثير من أجلهم بنكران ذات، سيعرف الله كيف يجعلهم يفتحون عليه في داخلهم.

إن من يحب على هذه الصورة، ناكراً ذاته ومكرّساً كل شيء للآخرين، ينمو يقدر ما يعطي. وكلما أنكر ذاته، ربح، إذ يستمرّ الله في توسيع حبه ويرغمه على النمو ليصبح أكثر فعالية في خدمة الجنس البشري. لا توجد هدنة لمن وهب نفسه ولم يسترجعها، والمهام الموكلة إليه تزداد باطراد. إنه يكاد يستنفد طاقته، لكنّ الله هو قوته في عجزه.

(لويس جوزيف لوبري "أبعاد المحبة" - Louis-Joseph Lebret)

من أقوال ر. فولرو - R. Follereau

"السعادة هي الشيء الوحيد الذي نحصل عليه بالتأكيد عندما نعطيه".

## وماذا عن حبنا الزوجي؟

"إذا كانت حالة الرجل مع المرأة هكذا... " (متى ١٠/١٩)

بعد أن تطرّقنا إلى صعوبة الحبّ الحقيقيّ بصورة عامة، دعونا نكشف هذه الصعوبة بالنسبة إلى القريب. بالطبع، إنّ العوائق التي أشرنا إليها ستظهر هنا أيضًا ولن نعود إليها ثانية، بل سنحاول أن نقف على مدى إضرارها بنوعية حبنا الزوجي. ما هي الأمور التي يحتمل أن تفسده؟ نُدرج في ما يلي بعضًا منها، إنّما على سبيل المثال لا الحصر، وبإمكاننا أن نتابع هذا البحث شخصيًا.

قد يعاني حبنا الزوجي من قلة انتباه أحدنا إلى الآخر. نظنّ أننا نعرف قريننا فلا نعود نلتفت إليه أو نراه، ولا نسمع ما يقوله أو بالحري ما ينطوي عليه كلامه. لا نشعر بشيء تجاه ما يبدر عنه من خلال مواقفه أو ملامح وجهه، ولا نبحث عن أمانيه العميقة، هذا البحث الذي هو محرّك قويّ للحبّ.

وتعقب هذا الإهمال قلة اكرائنا لما يفعله. هل نخصّص للقرين وقتًا في المساء لنسأله عمّا عاش في يومه، حين نتلاقى يعد يوم من الفراق؟ هل نسأله كيف أمضى نهاره، ومن هم الأشخاص الذين التقاهم، وما هي الأحداث التي أثرت فيه؟ إنّ نتيجة قلة اكرائنا لحياته تتمثّل في إهمالنا موافاته بما واكب نهارنا من أنشطة أو نجاحات أو صعوبات أو لقاءات. ومن شأن هذا التقصير ذي الوجهين أن يُفضي إلى "إسكاتِ قاتلِ للحبّ".

وعلى العكس، قد نبالغ في اهتمامنا بقريننا فنثقل عليه بالشكّ والتحرّيات ونبدي قلة ثقة به منهكين إياه بأسئلة لا نهاية لها تنمّ عن رغبتنا في إبراز التناقضات بين ما يفعله وما يقوله أكثر ممّا تنمّ عن محبتنا له. ومن البديهيّ أنّ هذا النوع من الغيرة يضرّ ضررًا بالغًا بحبنا الزوجي ويجعل قريننا يشعر بالاختناق وبعوض الخوف الذي يدفعه إلى إثارة بما يشكّ فيه الآخر أو إلى التسترّ وربّما إلى المخادعة.

وحتى إن لم نذهب إلى هذا الحدّ، فقد تؤديّ قلة الثقة إلى مناخ من الضغط في العلاقات الداخليّة ضمن الأسرة، ممّا ينعكس حتمًا على علاقة القرينين الجنسيّة وبالتالي على ازدهارهما وانفتاحهما الزوجي. إنّ عطاء الذات الكليّ في الإتحاد الجسدي يتطلّب كثيرًا من الثقة المتبادلة، وحرية داخلية كبيرة يساعد الحبّ على اكتسابها وعلى تقويتها تدريجيًا.

وفي النهاية، قد يفتقر الزوجان إلى الحرية في تبادل الكلام فيما بينهما. فعندما يندر الحوار الحقيقي بينهما وتتراكم الأمور التي أخفيها، يتعرّض حبهما للخطر. وفي فِرَق السيّدة، نعلم أنّه يجب أن يتمّ الحوار الزوجي تحت نظر الله كي يعطي ثماره كلّها. إنّها لمناسبة لنتساءل عن نوعيّة "واجب المجالسة" الذي يقوم به الزوجان. إنّ هدف نقطة الجهد الحسيّة هذه تكمن بالضبط في تلافي مختلف أنواع التقصير التي تهدّد حبنا الزوجي.

(يمكن أيضًا تطبيق هذا الاختبار على حبنا لأهلنا وعلى علاقتنا بأولادنا: هل ننتبه لهم ولما يفعلونه ولما يجول في داخلهم؟ هل نعرف كيف نشجّعهم؟ هل نوليهم ثقتنا؟ هل نخلق حولهم جوًّا من الانسراح؟ الخ).

ولكن، إذا كانت هناك شوائب في العلاقة بين الزوجين، فقد توجد أيضًا في صميم الكيان الزوجي. نشير هنا إلى اثنتين منها:

أولاً، عدم السيطرة الجنسيّة التي يمكن أن تضرّ بدنياميّة الزوجين وبحيويّة علاقتهما بالله، ذلك أنّ ثمة أخلاقيّة جنسيّة، حتى لو أنكرها بعض الناس أو تناسوها. فما هو موقفنا تجاه هذه الأخلاق؟ ألا نستطيع أحياناً أن نذهب إلى أبعد فنصغي إلى نصيحة القديس بولس: "لا يمنع أحدكما عن الآخر إلا على اتفاق بينكما وإلى حين كي تتفرّغا للصلاة..." (١ قور ٧/٥)؛ إنّ هبة الجسد هي من مقومات الزواج الرئيسيّة ولكن ألا تزداد قوّة الحبّ بين الزوجين وقوّة حياتهما الروحيّة إذا ما أوقفا أحياناً صلّتهما الجنسيّة "بناءً على اتفاق بينهما وإلى حين كي يتفرّغا للصلاة؟". يجب الانتباه هنا إلى الشروط الثلاثة التي وضعها القديس بولس.

أمّا الشائبة الثانية في كيان الزوجين فإنّها تكمن في كونهما نسياً نعمة سرّ الزواج أو فقداً للإيمان بها. إنّ المسيح نفسه هو الذي التزم مع الزّوجين بكلمة "نعم" التي نطقا بها عند الاحتفال بزواجهما، ومنذ تلك اللحظة أخذ يسير برفقتهما على الطريق، إنّّه حاضر ويعمل في حبّهما لشفائهما من جروحه وتقويته باطراد وتغييره بقوّة حبّه بالذات. هل نلجأ إلى يسوع بانتظام وكلّ يوم، من دون انتظار المصاعب، أو بخاصّة عندما تظهر، لكي يؤدّي دوره كمخلص في كياننا الزوجيّ ويعطينا مزيداً من خمرة العرس، من خمرة حبّه؟

### صلاة لاجتماع الفرقة (متى ١٩ / ١-١٢)

ولما أتمّ يسوع هذا الكلام، ترك الجليل وجاء بلاد اليهودية عند عبر الأردن. فتبعته جموع كبيرة، فشفاهم هناك. فدنا إليه بعض الفريسيين وقالوا له ليخرجوه: "أيحلّ لأحد أن يطلق امرأته لأية علة كانت؟" فأجاب: "أما قرأتم أنّ الخالق منذ البدء جعلهما ذكراً وأنثى وقال: "لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته فيصير الاثنان جسداً واحداً. فلا يكونان اثنين، بل جسد واحد. لا يفرقن الإنسان ما جمعه الله". فقالوا له: "فلماذا أمر موسى أن تعطى كتاب طلاق وتسرح؟" قال لهم: "من أجل قساوة قلوبكم رخص لكم موسى في طلاق نساكنكم، ولم يكن الأمر منذ البدء هكذا. أمّا أنا فأقول لكم: "من طلق امرأته إلا لفاحشة وتزوج غيرها زنى".

فقال له تلاميذه: "إذا كانت حالة الرجل مع المرأة هكذا فخير له ألا يتزوج". فقال لهم: "لا يفهم الناس كلّهم هذا الكلام بل الذين أنعم عليهم بذلك، لأنّ في الخصيان من ولدوا من بطون أمهاتهم على هذه الحال، وفي الخصيان من خصاهم الناس، وفي الخصيان من خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السموات. فمن استطاع أن يفهم فليفهم!".

### للحوار بين الزوجين:

- نظنّ أنّ واحدنا يعرف الآخر، بإيجابياتنا ونقاط ضعفنا فنعتاد أن نعيش معاً. ما هي الأساليب التي علينا أن نبتكرها كي يكتشف كلّ منا الآخر مجدداً، وكي نستمرّ في مسيرة اكتشافنا؟
- ما هو الدور الذي يستطيع أن يقوم به أقرباؤنا وأصدقاؤنا وأولادنا في عملية إعادة الاكتشاف تلك؟
- هل نحن مقتنعون بأنّ سرّ الزواج الذي قبلناه هو معينٌ نَعِمُ إلهيّة؟ ما هي؟ في أيّ مناسبات نلجأ إليها؟

## للحوار في اجتماع الفرقة:

- ما هي المساعدة التي قدّمتها الفرقة لأسرتنا؟ في أيّ مجال؟ أما زالت تقدّمها؟
- هل نستفيد من المساعدات التي توفّرها لنا فرّق السيّدة من طرائق وتجمّعات وفرق ممزوجة ودورات ونهايات أسبوع للتأهيل ورسالة...؟

## نصوص:

### ماهية الحبّ

ليس الحبّ مجرد عاطفة ولا انفعالاً عابراً. إنّهُ انتباه للآخر يتحوّل شيئاً فشيئاً إلى التزام، وإلى إقرار بعهد، وإلى انتماء متبادل. إنّهُ إصغاء إلى الآخر، ووضع النفس مكانه، وفهمه، والتيقن بأننا نهمّه. إنّهُ جواب لندائه وحاجاته العميقة. إنّهُ الحذب عليه ومشاركته الحزن والفرح. إنّهُ الفرحة لحضوره والحزن لغيابه. وهو أن أسكن فيه ويسكن فيّ، ونكون الواحد ملجأً للآخر. "فالحب هو قوّة موحّدة" كما يقول ديونيسيوس الأريوباجي (Denys L'Aréopage).

وإذا كان الحبّ انشداد الواحد نحو الآخر، فإنّه أيضاً انشداد الاثنين معاً نحو حقائق الأمور ذاتها. وهو بالتالي تمنّي بأن يحقّق الآخر ذاته تحقيقاً كاملاً في رؤى الله وفي خدمة الآخرين، وبأن يصمّم على أن يظلّ أميناً لدعوته، حرّاً في المحبّة بكلّ أبعاد كيانه.

الحبّ يقضي بأن يتخلّى الإنسان عن أفكاره، عن إحساساته، عن رفاهيّته، وطريق الحبّ محفوف بالتضحيات. إنّ جذور الأنانيّة راسخة في عمق عقلا الباطن، وغالبًا ما تكوّن أولى ردود فعلنا في المقاومة والعدوانيّة والبحث عن المتعة الشخصيّة.

ليس الحبّ عملاً إرادياً فحسب يلتزم فيه الإنسان بمراقبة حساسيته وبتجاوزها (تلك هي بداية)، بل إنّهُ حساسيّة وقلب مُطهّران يتجهان تلقائياً نحو الآخر. وهذا التطهير العميق لا يتمّ إلاّ بعبء من الله وبنعمة تندفق من أعماق كياننا حيث يسكن الروح القدس: "أنزغ من لحمك قلب الحجر، وأعطيك قلباً من لحم، وأجعل روحي في أحشائكم" (حزقيال ٣٦/٢٦). لقد وعدنا المسيح بأن يرسل إلينا الروح القدس "البارقليط" (المؤيّد) لينقل إلينا هذه الطاقة الجديدة وهذه القوة وهذه المزايا القلبيّة التي جعلنا قادرين على قبول الشخص الآخر كما هو - حتى لو كان عدوّاً - قادرين على تحمّل كلّ شيء والإيمان بكلّ شيء ورجاء كلّ شيء.

إنّ التدرّب على المحبّة يستغرق حياةً بكاملها، لأنّه يجب أن يدخل الروح القدس إلى كلّ تعاريج كياننا وخبائاه، إلى كلّ الزوايا التي يعشّش فيها الخوف والقلق والمقاومة والحسد.

(جان فانبيه - Jean Vanier الجماعة صفح وعيد)

## تحت نظر الرب

إن لم يكن الله حاضرًا، يصعب على الولد أن يعيش علاقته مع أبويه كعهد. وكذلك يصعب على الرجل أن يعيش علاقةً دائمة وعميقة مع زوجته، مثلما يصعب ذلك على المرأة مع زوجها، فإن لم يكتشفا طابع علاقتهما النسبي. لا يستطيع أحدهما أن يغمر الآخر كليًا، إذ ليس أحدهما إلهاً بالنسبة إلى الآخر. فكلّ منهما جراحه وكسوره الداخليّة وخطيئته وخياناته. فلكي يعيشا ويعمّقا عهدهما ويرضى كلّ منهما بالآخر مختلفًا عنه ومحدودًا، يحتاجان إلى الوثوق بالطابع المطلق للعلاقة مع يسوع.

(جان فانييه- ذكرًا وأنثى جعلهما)

## لأجل الولد

الولد ثمرة الاتحاد بين رجل وامرأة، إنّه ثمرة فعلٍ من الحنان والحب. ويحتاج الولد، خلال سنوات نموه، إلى الرجل وإلى المرأة معًا، يحتاج إلى بقائهما متّحدين. وإذا حصل بينهما انشقاق، سيصاب هو بانشقاق مع نفسه وتصيبه الحيرة. ومثلما يشعر الولد المتروك أو غير المحبوب بأنّه في حالة من عدم الأمان، كذلك يشعر الولد الذي حصل نزاع بين أبويه بأنّه في حالة خطر فيضطرّ إلى اتخاذ موقف متصلّب وإلى بناء حواجز يحتمي وراءها. إنّه لأمر لا يُحتمل بالنسبة إلى الولد أن يختار أحد أبويه وينبذ الآخر، وأن يشعر أيضًا بأن أحدهما ينبذ الآخر، لأنّه يحب كليهما. في مثل هذا الوضع، يُضطرّ الولد إلى أن يتدبّر أمره كما يستطيع، مستفيدًا من أبيه ومن أمّه وهاربًا من نزاعاتهما فيفلت من مستلزمات التربية والنمو.

وإذا شعر الولد بوحدة أبويه، فإنّه ينجرّف في تيّار حبّهما. أمّا إذا نشب خلاف بينهما، فتلجأ الأم إلى ابنها لأنها تشعر بإهمال زوجها لها، في حين يلجأ الأب إلى ابنته لأنه يشعر أنّ زوجته تتركه وتدينه. ولكن، إذا وجد الرجل ملاذًا ودعمًا له لدى زوجته وإذا وجدت المرأة الشيء نفسه قرب زوجها، ستكون لكلّ منهما الحرّيّة، لا لحبّ ولدهما فحسب، بل لتربيته ولمساعدته على النمو أيضًا.

(جان فانييه- المرجع السابق)

\*\*\*\*\*

## الفصل السادس

### ماذا عن التجرد؟

"لا تستطيعون أن تعملوا لله وللمال" (متى ٢٤/٦)

هذه الآية البسيطة من الإنجيل تنذرنا أشدّ إنذار: "ما من أحدٍ يستطيع أن يعمل لسَيِّدين، لأنّه إمّا أن يبغض أحدهما ويحبّ الآخر، وإمّا أن يلزم أحدهما ويزدري الآخر. فأنتم لا تستطيعون أن تعملوا لله وللمال". (متى ٢٤ / ٦). إنّها صرخة إنذار: حذار، جاء الخطر! بإمكاننا استخدام المال ولكن لا يجوز أن نتركه يستخدمنا. إنّهُ خادم أمين، إمّا سيّد شرير، وأكبر خطر نواجهه هو أن نجعل من المال صنمًا وإلهًا مزيفًا يُبعدنا عن الإله الحقيقيّ. ألا يجتو عالَمنا الحديث الذي نغوص فيه أمام هذا الإله المُزيّف؟ وأحيانًا، ألا نجتو نحن أيضًا مع العالم... النقص الذي يعترينا هنا والذي يجب أن نعالجه هو نقص روح الفقر: "طوبى لفقراء الروح، فإنّ لهم ملكوت السموات".

إنّ الله يحبّ البشر كلّهم، أغنياء كانوا أم فقراء، ولهذا السبب ينذر الأغنياء من الخطر الذي يهدّدهم. وهذا الخطر مزدوج: فالغني يعرّضهم لنسيان الله كما يعرّضهم لنسيان الفقراء. للغني وسائل كثيرة لكي يحصل على كلّ ما يبتغيه، فتشغله رغباته تمامًا، حتى إنّهُ لا يعود لديه الوقت ليفكر في الله، هو مرهق لكثرة اهتمامه بخيرات هذه الدنيا التي تحتكره كليًا. "فحيث يكون كنزك يكون قلبك" (متى ٢١ / ٦). إنّ الشوك هو الذي يمنع البذار الطيب من النمو. "وهوموم الحياة الدنيا وفتنة الغنى تخنق الكلام... " (مرقس ٤ / ١٩). وريّما الأخطر من ذلك هو كون الغني يضع ثقته في ممتلكاته ويدعم طمأنينته بالارتكاز على غناه لا على الله، وضماناته البشريّة تقوم عنده مقام الرجاء، شأنه شأن الغني الجاهل الذي بنى المشاريع لينعم بالحياة وإذ بالتحذير الإلهي يفاجئه: "يا جاهل، في هذه الليلة تُستردّ نفسك منك" (لوقا ١٢ / ٢٠).

يعرّضنا الغنى، ثانيًا، لخطر إهمالنا للفقير، ويجعلنا نعيش في وسط لا نلتقي فيه معه. وإذا ما التقيناه، لا نراه لانشغالنا بالأعمال أو بالمتع والملاذات. وهذا ما نلاحظه في قصة الغني الرهيبة التي رواها يسوع في أحد أمثاله (لوقا ١٦ / ١٩-٣١). فلم يردّ فيها أنّ الغني شرير أو أنّه ربح الأموال بطرائق ملتوية، بل كلّ ما عمله هو أنّه لم يرَ الفقير المدعو لعازار الذي كان منظرًا عند بابه وقد تعشّته الفروح، فلم يساعده. إنّ دينونتنا الأخيرة، كما نعلم، تركز على مدى التفاتنا إلى إخوتنا المنكوبين (انظر الفصل الرابع).

المقصود، كما يلاحظ، شجّب استعمال الخيرات بطريقة أنانيّة، إذ نستملك ما يعود، شرعًا، لجميع الناس، ولا بدّ من الاعتراف بأنّ هذه النزعة قويّة فينا وقد تجرّفنا مهما قلّت ثروتنا، فننسى الله وإخوتنا المنكوبين لنعيش في رفاهية. يذكّرنا الإنجيل أنّ على الإنسان أن يعتبر نفسه وكلياً لخيرات الله الذي هو المالك الحقيقيّ صانع كلّ شيء، وعلينا أن نوّدي له الحساب. ومن هنا ينتج المبدأ اللذان ينظّمان تصوّر المسيحيّ لملكيّة الأموال الماديّة: إنّ أموال الدنيا مخصّصة لجميع البشر، ولكن، يُعتبر بعض الملكية شرعيّ لأجل إدارة أفضل لتلك الأموال (وثيقة فرح ورجاء، العدد ٦٩ / ١ والعدد ٧١ / ١ و٢). والمبدأ الثاني يتبع الأوّل. ليس من السهل تطبيق المبدأين معًا من الناحية العمليّة، علمًا أنّ العدالة الاجتماعية تتعلّق بهما. إلّا أنّ المسيحيّ مدعوّ، بعد تحقيقه العدالة، إلى أن يتجاوزها ليبلغ الحبّ، حيث تزول الحدود كلّها.

فحذار أن نصبح أسرى ثروتنا، مهما كبرت أو تواضعت. يجب أن نعلم أين يوجد كنزنا الحقيقيّ: إنّهُ خمر الحياة الإلهيّة التي يعرضها المسيح علينا بغزارة والتي لا يصلح لاستقبالها سوى القلب الحرّ الفقير. ألا تنقصنا هذه الحرّيّة الداخليّة تجاه الخيرات الدنيويّة؟ ألا ينقصنا شيء من روح الفقر؟ ألا تُربكنا كثرة ممتلكاتنا؟ هناك وسائل حسنيّة لاختبار استعدادنا الداخليّ كالمحافظة على اتّصال مباشر بالفقراء والمنبوذين، والتأمّل في المسيح الذي "افتقر لأجلنا وهو الغني" (٢ قور

٩/٨) - (راجع نصّ الأب دي فوكو في مقطع لاحق)- والتطرّق على الصعيد الزوجيّ والعائليّ إلى مسألة المال والفقر الإنجيليّ وإلى كيفة استعمالنا العمليّ لممتلكاتنا، والتأمّل المليّ والمتكرّر في مقاطع الإنجيل التي تتحدّث عن الغنى والفقر، والبحث في المزامير عن صيحات "فقراء الربّ" الذين وضعوا كلّ ثقتهم في الربّ وتبنيها في حياتنا الشخصيّة، الخ...

## صلاة لاجتماع الفرقة (لوقا ١٦/١٩-٣١)

مثل الغني ولعازر

"كان رجل غنيّ يلبس الأرجوان والكتان الناعم، ويتنعم كلّ يوم بمأدبة فاخرة. وكان رجل مسكين اسمه لعازر ملقى عند بابه قد غطت القروح جسمه. وكان يشتهي أن يشبع من فتات مائدة الغنيّ. غير أن الكلاب كانت تأتي فتلحس قروحه. ومات المسكين فحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم. ثم مات الغنيّ ودُفن. فرفع عينيه وهو في الجحيم يقاسي العذاب، فرأى إبراهيم عن بُعد ولعازر في أحضانه. فنادى: "يا أبت إبراهيم ارحمني فأرسل لعازر ليبلّ طرف إصبعة في الماء ويبرد لساني، فأبى معذب في هذا اللهب". فقال إبراهيم: "يا بنيّ، تذكر أنّك نلت خيراتك في حياتك ونال لعازر البلبا. أمّا اليوم فهو ههنا يُعزى وأنت تُعذب. ومع هذا كلّه، فقد أقيمت بيننا وبينكم هوة عميقة، لكيلا يستطيع الذين يريدون الإجتياز من هنا إليكم أن يفعلوا، ولكيلا يُعبر من هناك إلينا". فقال: "أسألك إذا يا أبت أن ترسله إلى بيت أبي، فإنّ لي خمسة إخوة. فليذرهم لنلا يصيروا هم أيضًا إلى مكان العذاب هذا". فقال إبراهيم: "عندهم موسى والأنبياء، فليستمعوا إليهم". فقال: "لا يا أبت إبراهيم، ولكن إذا مضى إليهم واحد من الأموات يتوبون". فقال له: "إن لم يستمعوا إلى موسى والأنبياء، لا يقننوا ولو قام واحد من الأموات".

## للحوار بين الزوجين:

- هل نسوس معًا ميزانيّة العائلة؟ وإن لا، فلماذا؟
- ما هي الحصّة التي نكرّسها لمساعدة الآخرين؟ هل نحن متفقان في ذلك؟
- يدفعنا العالم الاستهلاكي إلى اقتناء ما نشتهي. وفق أيّ معايير نبرمج مصروفنا؟

## للحوار في اجتماع الفرقة:

- يوصينا يسوع بالأّ نقلق في شأن طعامنا ولباسنا. أهو التهاون أم عدم المبالاة؟ ما هو التوازن الواجب إيجاده بين الحاجة المشروعة إلى ضمان الأسرة والأولاد، وبين الدعوة الإنجيلية إلى السخاء؟
- "اطلبوا أولاً ملكوت الله وبرّه وكلّ شيء يُزاد لكم". ماذا تمثّل لنا العناية الإلهية؟
- دعونا نتحاور حول دخلنا وطريقة تصوّرنا لعلاقتنا بالمال.

- كيف نتعاون روحياً في ما بيننا ومع مستشارنا الروحي ومع رابطة الفرق؟ هل تقوم فرقنا بمساعدة أسر أفقر منها؟

بعد بحث تلك النقاط، يمكنكم بحث المسألة الآتية مع أولادكم: ماذا يعني كوننا فقراء في سبيل الملكوت في العالم الذي نعيش فيه: ١ - عالمهم (أي عالم الأولاد).

٢ - عالم البالغين.

## نصوص

تأمل للأب شارل دي فوكو

إلهي، أنا لا أعلم هل بإمكان بعض النفوس أن تترك فقيراً وتبقى باختيارها غنيّة، أن ترى ذاتها أرفع بكثير من معلّمها ومحبوبها، ولا تشاء، بقدر ما يتعلّق الأمر بها، أن تتشبه بك في كلّ شيء وخاصة في تواضعك، لا أنكر أنّها تحبّك، يا إلهي، لكنّي أعتقد، مع ذلك، أنّ شيئاً ما ينقص محبّتها، إنّني، على كلّ حال، لا أستطيع إدراك المحبّة من دون حاجة ماسّة إلى المماثلة، إلى التشبّه، وخاصة اقتسام كلّ متاعب الحياة وصعوباتها وشدائدها... أأكون غنياً مترقّها وأعيش بهناء من خيراتي، بينما كنت أنت فقيراً، مضموناً، عائشاً بعناء من عملٍ قاسٍ: كلا، يا إلهي، إنّني لا أقدر على ذلك، لا أستطيع أن أحبّ على هذا النحو!

إلهي، أنا لا أدين أحداً، والآخرين هم خدامك وإخوتي، فلا ينبغي لي إلا أن أحبهم وأفعل الخير معهم وأصلّي من أجلهم، إنّما لا أقدر على فهم المحبّة من دون السعي إلى التشبّه بك و من دون الحاجة إلى اقتسام كلّ الصليبان...

(الأب شارل دي فوكو C. de Foucauld)

## لا تحبوا المال

لا بدّ هنا من الرجوع إلى عبرة الإنجيل. من المستحيل أن يلين الإنسان إذا كان يحبّ المال. "لا تستطيعون أن تعملوا لله والمال". ألخصّ كلّ شيء في إحدى الذكريات وهي تتضمّن أقصر وصيّة سمعتها.

كان الأب "شيفلو" Chifflo، وهو أحد كهنة الدير الذي كنت ملتحقاً به ويبلغ من العمر ٥٤ عاماً، كان يعاني من تدرّن في الكليتين. كان الوقت صيفاً حين أخبره الأخ الممرّض أنّه لا يوجد أمل في تراجع المرض. عندئذٍ استدعى الأب "شيفلو" أحد آباء الدير وقال له: "أخبرتُ بأنّي سأموت بعد شهر أو شهرين. أرجو أن تتصل بطبيبي وتساءله: "أولاً: هل ذلك صحيح؟ ثانياً: هل في الإمكان انتظار عودة أبناء أخي لمنحي سرّ مسحة المرضى؟ ثالثاً: هل يسمح الوقت بانتظار عودة الأب كارّي Carré رئيس الدير؟

أدى هذا الكاهن المهمّة المكلف بها وعاد بجواب إيجابي عن الأسئلة الثلاثة. بعد ذلك غيّر الأب شيفلو موقفه في العمق وسلك منحىً جديداً، إذ بدلاً من أن يعيش كما كان يفعل سابقاً، أخذ يعيش ليتأهبّ للموت، ومع ذلك ثابر على نشاطه في تحضير مشروع الكتاب المقدّس المسكوني...

وبعد أن عاد الجميع إلى باريس في نهاية الصيف، جرى الاحتفال بمنحه مسحة المرضى حيث تقبل الأب شيفلو السرّ المقدّس بحضور الأب دي فو De Vaux مدير المدرسة البيبلية في القدس والأب كارّي Carré رئيسه المباشر، وأولاد أخيه الثلاثة، وشقيقتيه، وألقى كلمة وجيزة قال فيها: "في العهد القديم، كان الآباء يلقون خطاباً قبل وفاتهم. أمّا أنا، فلست من الآباء ومع ذلك سألقي خطاباً.

(يجدر التوضيح هنا أنّ ابنة أخيه الكبرى كانت قد نالت لتوّها إجازة في الآداب، وأنّ ابنة أخيه الثانية في سنتها النهائية، وأنّ ابن أخيه نجح في دار المعلمين العليا وفي مدرسة البوليتكنيك. أمّا أبوهم، فقد مات في المنفى من دون أن يعرف ابنه الصغير، ما جعل الأب شيفلو يوليهم كلّ اهتمامه).

قال لهم إذًا: "يا أبناء أخي، كنتم من أعظم أفراسي في حياتي، ووصيتي إليكم تقتصر على بعض الكلمات: "لا تحبّوا المال. ويمكنكم الآن أن تنسحبوا".

لم يَفْهَ بكلمة واحدة عن المسيح ولم يُبَدِ أي موقف من التقوى. ومع ذلك، هل هناك "وصية" أقرب إلى الإنجيل من وصيته تلك؟ فقد شجب حبّ المال، المال الذي يأسر ويستعبد ويمنع الشفقة. "لا تحبّوا المال".

(الأب برنار برو Bernard Bro مقتطفات من عظة الأحد، ٢١ أيلول ١٩٨٠)

### الثقة بالله

"إذا رحلت عن هذه الدنيا، فلا تهتمي كثيرًا بالغد. لا تنسى أن بعض الفلق بالنسبة إلى المستقبل هو أفضل حافظ للوثوق بالله وللاستسلام له. وأكبر بليّة تصيب الأغنياء هي كون ثروتهم تجعلهم يستغنون عن العناية الإلهية وعن لفتات الله الأبوية الرائعة الحنونة. إنهم يرتّبون حياتهم كلّها في عقولهم ولا يتركون حيّرًا لله ليرتبطوا به كما نفعل.

(النقيب البحري دوبوي Dupouey من رسالة إلى زوجته – ٢٩ آذار ١٩١٥)

### عدم الامتلاك أو الفقر

إنّ عدم الامتلاك مرتبط بالامتناع عن السرقة. يجب اعتبار الشيء مسلوبًا إذا كان صاحبه لا يحتاج إليه، حتى لو لم يتملّكه عن طريق السرقة. الحيازة تنطوي على الاتّخار لأجل المستقبل. من يبحث عن الحقيقة ويمتثل لقانون الحبّ لا يرغب في أن يحتفظ بشيء لحماية نفسه من الغد. إنّ الله لا يدّخر أبدًا لأجل الغد ولا يخلق أبدًا أكثر ممّا تدعو إليه الحاجة في لحظة معيّنة. إنّ كُنّا نؤمن بالعناية الإلهية، فيجب أن نثق بأنّ الله سيعطينا كلّ يوم ما يكفينا من الخبز، أي كلّ ما نحتاج إليه، والقديسون والأبرار الذين عاشوا مثل هذا الإيمان اختبروا دائمًا أنّ التجربة تبيّرهم. يعود سبب عدم المساواة بين الناس مع كلّ ما يواكبها من بؤس، إلى جهلنا أو إهمالنا القانون الإلهي الذي يعطي الإنسان كفاف يومه من الخبز ليس أكثر.

يملك الغني كميات هائلة من أشياء لا يحتاج إليها ويهملها ويبدّرها في وقت لاحق، في حين أنّ الملايين من الناس يتضوّرون جوعًا لعدم توقّر الطعام لديهم. عندما يحتفظ كلّ إنسان بما يحتاج إليه فقط، لن يفتقر أحد إلى شيء، وسيكتفي كلّ فرد بما لديه. أمّا في النظام الحالي، فإنّ عدم الرضا يعمّ الجميع، الأغنياء مثل الفقراء. فالفقير يريد أن يصبح صاحب ملايين، كما أنّ صاحب الملايين يريد أن يصبح صاحب مليارات. على الغني أن يأخذ المبادرة بالتخلّي حتى يسود الامتنان أنحاء الأرض كلّها، ولو عمد فقط إلى تقليص ثروته وجعلها ضمن حدود معقولة، لتمكّن جميع جياح العالم من أن يشبعوا ويصبحوا - هم والأغنياء - راضين عن قدرهم!

لتحقيق هذا المثل الأعلى من عدم التملّك على الوجه التامّ، يجب على الإنسان، على مثال العصفور، ألا يملك سقفًا فوق رأسه ولا ثيابًا ولا مؤونة من الطعام لأجل الغد. سوف يحتاج بالطبع إلى خبزه اليومي ولكن ذلك لا يتعيّن عليه تأمينه بل على الله. قليلون هم من يستطيعون تحقيق هذا المثل الأعلى - هذا إن وجدوا - أما الباحثون العاديون مثلنا، فيجب ألا تخيفهم

الاستحالة الظاهرية، بل عليهم أن يضعوا دائماً هذا الهدف نصب عيونهم وأن يتحرّوا أموالهم وممتلكاتهم على ضوئه وفي جوّ من النقد الذاتي لمحاولة إنقاذها.

لا تكمن الحضارة، في معناها الحقيقي، في إثارة الرغبات أو في تكثير الحاجات، بل في تخفيضها طوعاً وعمداً، وهذا الإجراء من دون سواه قادر على جلب السعادة الحقيقية والارتياح الصحيح، وهو يتيح لنا أن نخدم الناس بصورة أفضل. وإذا ما طبقنا هذا القاعدة، نلاحظ أننا، حتى في المنسك، نملك أشياء عديدة لا مبرّر لاقتنائها وأننا بذلك نعرض القريب لإغراء السرقة.

وهكذا نصل إلى هدف التخلّي التام ونتعلّم استخدام الجسد - ما دام موجوداً- في سبيل الخدمة، وبذلك يقوم هدفنا في الحياة على الخدمة، لا على الخبز. نأكل ونشرب، ننام ونستيقظ، فقط لأجل الخدمة، وهذا الموقف الذهني يوفّر لنا السعادة الحقيقية ويوصلنا، مع مرور الوقت، إلى الهناء والسعادة. فليخصّ كلّ منا نفسه من هذه الناحية.

(غاندي: الرسالة إلى المنسك)

من أقوال القديس فرانسوا دي سال St. François De Salles  
"كن فقيراً بما ينقصك في هذه اللحظة".

"... ولماذا لا نتخلّى عن كلمة: ملكية الأرض، وكلمة مالك وملاك لنستعيز عنها بكلمة وكالة الأرض، الوكيل، الموكل..."

ليشعر الإنسان بأنّ الأرض أعطيت لنا هبة من الله، ولسبب وحيد، لتكون وسيلة ترقّ ونموّ، وسيلة للتمتع بخيراتها، وسيلة خلاص .

ونحن مدعوون لنساهم في صنعها وجعلها وسيلة خلاص ..."

(من رسائل الأب لويس خليفة- جريدة "ببيليا")

\*\*\*\*\*

"... ويمكن، على وجه التأكيد، إطالة لائحة الألام التي أثارت مشاعر التعاطف الإنساني والشفقة، والمساعدة، أو أنها لم تُثرها. وإعلان السيد المسيح الأول والثاني، بشأن الدينونة الأخيرة، يشير

دونما التباس وبكلّ وضوح، إلى الأهمية- نظرًا إلى الحياة الأبدية بالنسبة إلى كلّ إنسان- هذا "التوقف"، على مثال ما فعل السامري، عند آلام القريب، و"الشفقة" عليه، وأخيرًا مساعدته. ووجود الألم في العالم، في مخطّط المسيح المشيحي، الذي هو مخطّط ملكوت الله، من شأنه استثارة مشاعر المحبّة، والحث على نشاطات محبّة في جانب القريب، وتحويل الحضارة الإنسانية إلى "حضارة محبّة". وفي هذه المحبّة، يتحقّق تمامًا معنى الألم الخلاصي، ويبلغ مداه الأخير. وكلام السيد المسيح في الدينونة الأخيرة يشرح هذا كلّّه ببساطة الإنجيل ووضوحه التام.

وهذه الأقوال في المحبّة، وأعمال المحبّة المرتبطة بالألم البشري، تكشف لنا مرّة جديدة عن أنّ آلام المسيح الفادية تكمن في جميع الآلام البشرية. لقد قال المسيح: "إلّيّ صنعتموه". إنّه هو من يختبر المحبّة، في كلّ إنسان، وهو من يتلقّى المساعدة، عندما تُحمل هذه إلى كلّ شعب، دونما تمييز. وهو من هو حاضر في من يتألّم، لأنّ ألمه الخلاصي قد امتدّ مرّة وللأبد إلى كلّ ألم بشري. وكلّ الذين يتألّمون مدفوعون، مرّة وللأبد إلى الإشتراك في "آلام المسيح". وكذلك، إنهم جميعًا ملزمون "بإتمام" ما ينقص من آلام المسيح" بالأمهم. لقد علّم المسيح، في الوقت عينه، الناس أن يصنعوا الخير بواسطة الألم، وأن يصنعوا الخير لمن يتألّم. ومن هذا الباب المزدوج أطلّ علينا بمعنى الألم العميق".

(المعنى المسيحي للآلام البشرية- من رسالة البابا يوحنا بولس الثاني لعام ١٩٨٤ في الألم الخلاصي- الرقم ٣٠،)

## ماذا عن الألم ومعناه المسيحيّ؟

"أما كان يجب على المسيح أن يعاني هذه الآلام؟" (لوقا ٢٤/٢٦)

لا يحبّ الله الألم. لم يخلق الله الإنسان من أجل أن يتألم، بل من أجل أن يكون سعيدًا. ثمّة واجب إنسانيّ إذاً، يقضي بمكافحة الآلام مهما كان شكلها. دعونا نوضّح هذه النقطة من غير المستحبّ أن نلقي عظام في الألم على من هم في محنة، وهذا ما كرّره الكردينال فويو Veillot رئيس أساقفة باريس إبّان مرضه الأخير، فكان يقول: " في وسعنا سنُكِّ عبارات جميلة حول الألم، وقد تحدّثت عنها سابقاً بحرارة. قولوا للكهنة أن يمتنعوا عن التكلّم عليها، إذ نجعل طبيعتها. لقد اختبرتها فأبكتني". وفي الواقع، إنّ الشخص الذي يتألم لا يتحمّل نصائح الأصحاء الذين يحثّونه على الصبر.

ولكنّ للآلام معنىً مسيحيًّا، ونكون قد نسينا تقليدًا قديم العهد وحرمانا المعمّدين من ثروة تخصّصهم إذ أحجنا عن تعليمهم أنّ الآلام تترافق مع آلام المسيح لتكوّن أداة خلاص. ولكن بعد أن ساد مذهب الألم قرونًا كثيرة، عادت الأمور إلى سابق عهدها وأصبحنا الآن نميل إلى تجاوز يوم الجمعة العظيمة لنصل مباشرة إلى يوم القيامة. وها هي كلمة المسيح تسألنا بشدّة. لقد سار بعد قيامته مع التلميذين الحائرين على طريق عماوس من دون أن يريا فيه المسيح القائم من بين الأموات، وقال لهما: "يا قليلي الإدراك وبطيئي القلب عن الإيمان بكلّ ما نطق به الأنبياء! أما كان يجب على المسيح أن يعاني هذه الآلام فيدخل في مجده؟" (لوقا ٢٤/٢٥-٢٦). أما كان يجب... ما أغرب هذه الضرورة بالنسبة إلى المسيح، إذ عليه أن يمرّ بالصليب ليبلغ المجد! لا يمكن للإنسان إلّا لأن يترك هذه الواقعة المحيرة تدوّي طويلاً في نفسه.

بيد أنّ تلك الواقعة، على الأقل، تلقي الضوء على وضع التلميذ الذي "ما كان أسمى من معلّمه" (متى ٢٤/١٠). لا يدّ من الألم في حياتنا، وإذا كانت مكافحته ضروريّة، فلن نستطيع الإفلات منه كليًا. هل يعني ذلك إذاً أنّه ليس سوى خشب يابس وعديم النفع؟ ليس ذلك رأي القديسين الذين تأمّلوا في آلام المسيح، وعلى رأسهم القديس بولس الذي أكّد لمسيحيّي قولسي (١/٢٤): "يسرني الآن ما أعاني لأجلكم فأتمم في جسدي ما نقص من آلام المسيح في سبيل جسده الذي هو الكنيسة". تكون الآلام خصيبة إذا ما تحمّلناها وقدمناها محبةً بالمسيح وكي نمثّل في الزمن عمله الخلاصي.

لقد نوّه الأب تيار دي شاردان Teilhard de Chardin ، رغم نظريته المتفائلة حول تطوّر العالم باتجاه الاكتمال في المسيح، بهذه الحقيقة القاسية التي تعترف بوجود الشّرّ والألم، وقد تحدّث على نحوٍ رائع في كتابه "الوسط الإلهي" عن دور السلبيات في الحياة المسيحيّة. وعندما أتيج له أن يكتب مقدّمة سيرة شقيقته مرغريت التي قضت حياتها مشلولة طريحة الفراش، ختم المقدمة المذكورة بالمقارنة بين حياته وحياتها، طارحًا السؤال الأساسيّ التالي الذي يحيط بسرّ الصليب عند المسيحيين: "يا أختي مرغريت، بينما كنتُ مكرّسًا لقوى العالم الموضوعيّة أجوب القارات والبحار منهمكًا في مراقبة ظاهرات الأرض، كنت أنتِ مستلقية بلا حراك تحوّلين، بصمت، أسوأ ظلمات العالم إلى نور يسكنك في العمق. أخبريني إذاً، من منّا نحن الاثنين سيئال النصيب الأفضل في نظر الخالق؟".

هل نوّمن "بطاقة الآلام الروحيّة" هذه، كما تنظر إليها الرؤية المسيحيّة؟ ألا ينقصنا الكثير من "حسن الصليب" الذي كان دائمًا على أشده عند المتحمسين للمسيح؟ لن نستطيع بلوغ ذلك في الوقت الذي تدرّكنا فيه المصائب، إذ سيصدمنا أو يثيرنا كلّ ما يقال لنا عندئذٍ، بل سينضج لدينا هذا الحسّ طيلة حياتنا كأبناء لله إذا ما تأملنا المسيح في آلامه، خاصة من خلال طقوس أسبوع الآلام التي نحتفل بها كلّ عام. وربما كانت إحدى أهم نقاط الضعف عند مسيحيّ هذا العصر

تكمّن في الإنكار النظريّ والعمليّ لخصوبة الألم الروحيّة والرسوليّة، أي الألم المعاش في الاتحاد مع المسيح المصلوب. وهذا جدير بأن نفكّر فيه ونتحدّث عنه.

### صلاة لاجتماع الفرقة (متى ٢١/١٦-٢٤)

"وبدا يسوع من ذلك الحين يُظهر لتلاميذه أنّه يجب عليه أن يذهب إلى اورشليم ويعاني آلاماً شديدة من الشيوخ والأخبار والكتبة ويُقتل ويقوم في اليوم الثالث. فانفرد به بطرس وجعل يعاتبه فيقول: "حاشن لك يا رب! لن يصيبك هذا!". فالتفت وقال لبطرس: "اذهب عني يا شيطان، فأنت لي حجر عثرة، لأن أفكارك ليست أفكار الله، بل أفكار البشر".

### للحوار بين الزوجين :

- لنا الحظّ أن نعيش معاً، أن نتشارك وأن نتحاور ... ما هو موقفنا تجاه الأم القرين؟
- انطلاقاً من إيماننا المسيحيّ، كيف يساعدنا ألم فقدان أحد الأشخاص الأعزّاء (زوج- ولد) على اكتشاف بُعْدٍ جديد لبذل الذات؟
- ما هي الوسائل التي نلجأ إليها عندما نكون في وضع جيّد كيلا ننزعزع عند مواجهتنا الصعوبات؟

### للحوار في اجتماع الفرقة :

- لا يمكن أن تحصل القيامة من دون آلام، وقد أوضح السيّد المسيح ذلك لتلميذي عماوس. إنّه لسرّ هائل.
- كيف نعيش سرّ الآلام هذا؟ هل للآلام معنى بالنسبة إلينا؟ ما هو هذا المعنى؟
  - ما هو موقفنا تجاه الذين يتألمون (مرافقة، هروب...)?

### نصوص

يا ربّ، لا بدّ لي من أن أَرْضَى مجدّداً بالحياة التي تعطيني إيّاها، من دون قيد ومن دون ضغينة، وأن أبقى في اتفاق تامّ معك. نعم يا إلهي، يروقتي أن أكون مريضاً ما دمت تريد أن أحبّك على هذه الحال. ليس لي أن أنتظر غداً، فالغد غير مضمون، ولا أن أتعلّل بالأحلام أو أن أتأسّف. أنا مريض، وسأخدمك ولن أنتظر لأحبّك ظروفاً أفضل قد لا تتحقّق أبداً. هل المقصود أن أحبّك كما أريد أم أن أخدمك حيث تنتظرنني؟ لن أقول لك: "مهلاً يا ربّ سأخدمك غداً"، سوف ترى يا ربّ، عندما أشفي، كم ستكون خيبة الأمل شديدة إن لم يأتِ الغد المنتظر وإن استدعيتني إلى الدنيا الآخرة بدلاً من أن تشفيني فمثلت أمامك بفشلي فارغ اليدين بسبب انتظاري؟ يا ربّ، لا أريد أن تكون حياتي فاشلة، فالمرض لا يُحبطها، بل أستطيع أن أملاًها إلى أن تفيض، بمجرد عزمي على ذلك، وهذا بفضل نعمتك التي تستخفّ بالزمن ولا تكثرث للأعمال الرامية إلى المجد الدنيوي. لا تلزمني سوى دقيقة واحدة لأرضى بمرضي ولأهديك الآمي متهلّلاً، ولكن هذه الدقيقة أفضل من كلّ تلك الحياة التي أحلم بها والتي كانت جميلة جداً لو لم تختز لي حياة أكثر جمالاً.

تلك هي حياتي يا رب، أريد أن أضع فيها حبي لك. لن يكون ذلك مدعاة للفخر، ظاهرياً، إذ سيبرز حبي بتواضع وسيتمثل في صبري لتحمل رتابة الأيام وعودة المرض، حتى إنه لن يتاح لي أن أعتزّ بالمي لأن المرض لا يحجب العيوب. وستكمن شجاعتي في محافظتي على الابتسامه رغم كل شيء وفي قبولي حتى شوائبي، وأيضاً، وبنوع خاص، في ابتهاجي للظهور بكلّ عيوبي أمام الجميع. سيكون لغيرتي معني إن لم أبالغ في مضايقة الذين يحيطون بي ويعتنون بي، وإن عرفت كيف أشفق على الذين يتألمون مثلي، وإن صليت لأجل إخوتي... كل ذلك عمل شاقّ يا رب، وأفضل أن أبشر بالإنجيل في إفريقيا إذ سيكون ذلك أسهل عليّ بالتأكيد، ولكن هل المقصود هو أن أفعل ما أريد أم أن أطيعك؟

(الأب اليسوعي بيير ليوني Pierre Lyonnet ، كتابات روحانية، ١٩٦٣)

### كما تريد، يا رب!

يا رب، في الفرح والثقة أهديك هذه السنة الجديدة. كيف ستكون بالنسبة إليّ، ماذا تختبئ لي كل هذه الشهور الطويلة؟ لا أريد أن أطرح على نفسي هذه الأسئلة، أنت تعرف الجواب وهذا هو المهم. ما الفائدة إذاً من أن أحزر؟

في الفرح، أقدم لك هذه السنة مع كل ما ستجلبه أنت لي. في الثقة، أقدم لك استعدادي الصادق للتلبية لأنّ ثمة أموراً كثيرة ستطلبها مني.

أعلم جيداً أنني سأتعرّض في العديد من الأحيان لليأس والقلق. وفي العديد من الأحيان أيضاً سأقول: يا رب، كفاني عذاباً، انظر إلى بؤسي.

وستجيبني: أعرف ألامك وبؤسك، أنا قاسيت منها قصداً... مفكراً فيك. حين صرخت ثلاث مرات: "يا أبتاه لتبتعد عني هذه الكأس"، هل تظنّ أن صرختي كانت تنطوي على حيلة؟ كلا، بل كان كياني كله يثور أمام الألام التي كانت تنتظرنني. ثم حدث ما تعرفه إذ قلت: "لا كما أنا أشياء، بل كما تشاء أنت".

وعلى الصليب، لما بلغت ألامي أشدها، صرخت مرة أخرى في عزلي وكأبتي: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟".

ومع ذلك، أنت تعلم أنني انتفضت مستسلماً: "يا أبتاه في يديك أجعل روحي". إنّ هذه الصيحة الحاسمة أكدت لي أنني لم أخطئ. هذا ما أردت أن أعرفه لأساعدك وأساعد الآخرين. وأنت، ألا تستطيع مساعدة الآخرين وإعانة جميع الذين تلتقيهم في العيادات، الذين تراهم، الذين لا تراهم، الذين يتألمون من دون أن يعرفوا ويكابدون من دون رجاء؟ أليس في وسعك أن تُظهر لهم حبي الذي لا حدود له، بتروّ وصبر؟".

فأقول لك: "إذاً يا رب، إذا اعتقدت أنّ بإمكانني "تدبر الأمر"، وإذا رأيت أنّ باستطاعتي أن أكون أداة صالحة، وإذا منحنتي قوتك ونعمتك، إذا أقول لك في مستهلّ هذا العام الجديد: "كما تشاء يا رب".

(من اقوال الأب إميل داميان Emile Damiens ، كاهن في أبرشية آرس، وقد وجدت هذه الصلاة في مذكراته، واستخرجت من الكتاب الذي كرّسه له إميل سيسرون Emile Ciceron وفلوريد جيرار Floride Gérard، وعنوانه: في مواجهة السرطان، ١٩٩٧).

### الفصل الثامن

## وماذا عن معنى الخدمة؟

"فيجب عليكم أنتم أيضاً أن يغسل بعضكم أقدام بعض"

(يوحنا ١٣/١٤)

أعلن يسوع أنه "لم يأت ليخدم، بل ليخدم، ويفدي بنفسه جماعة كثيرة" (متى ٢٠/٢٨). وفي اللحظة الاحتفالية في أثناء العشاء الأخير، أعطى تلاميذه المثل بغسل أقدامهم، وعلق على بادرته تلك داغياً إياهم إلى الاقتداء به: "اتفهمون ما صنعتُ إليكم؟ أنتم تدعونني معلماً ورباً، وأصبتم في ما تقولون، فهكذا أنا. وإذا كنت أنا الربّ والمعلم قد غسلت أقدامكم، فيجب عليكم أنتم أيضاً أن يغسل بعضكم أقدام بعض. فقد جعلت لكم من نفسي قدوة لتصنعوا ما صنعت إليكم" (يوحنا ١٣/١٢-١٥).

ينطوي هذا الحديث على طريقة معيّنة لممارسة السلطة: فرسالة تلميذ المسيح هي حصراً خدمة إخوته. "تعلمون أنّ رؤساء الأمم يسودونها، وأنّ أكابرها يتسلطون عليها. فلا يكن هذا فيكم، بل من أراد أن يكون كبيراً، فليكن لكم خادماً. ومن أراد أن يكون الأوّل فيكم، فليكن لكم عبداً" (متى ٢٠/٢٥-٢٦). إذا كان لدينا بعض السلطة (وهل يوجد من يفترق إليها؟)، فإنّ كلمات يسوع تطرح علينا التساؤل: هل نتحلّى بحسّ الخدمة هذا أم أنّه ينقصنا؟ والخدمة هنا مستوحاة طبعاً من الحبّ. لنفحص من خلال هذه الزاوية حياتنا الجماعية في كلّ المحافل الصغيرة التي نعيش فيها: الرعية، حركة الفرق، العمل، العطلة...).

لنبدأ أولاً بالجماعة العائلية التي هي المكان المناسب ليلقي الأبوان نظرة واعية إلى طريقة ممارستهما السلطة تجاه أولادهما. فالسلطة هي في خدمة نموّ الأولاد البشريّ والمسيحيّ، وفقاً للدعوة الخاصة بكلّ منهم، وليس كما نتمنى نحن لأجلهم. المطلوب مساعدتهم على بناء حريّتهم وتوطيدها، حريّتهم التي ستجعلهم مستقلّين عنّا وقادرين على أن يحبّوا ويوجّهوا حياتهم بدورهم نحو خدمة الآخرين. وهذا يتطلّب منّا الحزم والحنان في آن واحد، بالإضافة إلى التفهّم وطول الأناة والثقة غير المحدودة. ومن المستحسن أن نرجع دائماً إلى نصيحة القديس بولس التي قال فيها: "أيّها الآباء، لا تغيظوا أبناءكم" (أفسس ٤/٦).

تقتض خدمة الآخرين تنظيمًا لأوقاتنا، فالوقت كنز ثمين منحنا الله إياه لنستثمره، لا لنبذره. غالباً ما نسعى وراء الوقت ونردّد "ليس لدينا الوقت". ولكن كيف نستعمل هذا الوقت؟ خارج الوقت اللازم للنوم والعمل وما يلحق بهما، لدينا وقت كلّ يوم أو كلّ أسبوع هو وقت الفراغ، ومن حقّنا أن نخصّص جزءاً منه لنجدّد طاقتنا ونغني ثقافتنا، غير أنّه يُطلّب من المسيحيّ أن يكرّس قسماً من هذا الوقت لله (في الصلاة)، وللآخرين (في الخدمة). وتعود إليه كيفية توزيعه واختياره التي لا بدّ من إعادة النظر فيها بصورة منتظمة. كم من وقت نخصّصه أسبوعياً لله؟ وللآخرين؟ لا بأس من المقارنة بينه وبين الأوقات التي نتركها لإرضاء ذواتنا.

ثمّة سؤال آخر يُعتبر جيهاً تماماً في عصرنا، وهو: كم نمضي من الوقت أمام شاشة التلفاز؟ لا شك أنّ التلفاز أداة جيدة للاستعلام والتأهل، إذا ما استخدم بتروّ. ولكن ألا يستحوذ على قدر أكبر من وقتنا فيجعلنا نهمل واجبات أخرى، منها خدمة الآخرين؟ علماً بأنّ الواجبات الاجتماعية والرسولية ضخمة والنداءات كثيرة للعثور على من يؤدّيها (مثلاً للإيجاد مسؤولين في نطاق حركة الفرق). ألا تنقصنا الأريحية لتلبية تلك النداءات؟

إنّنا "وكلاء" الخيرات التي عهد بها الله إلينا، كما سبق وقلنا في الفصل السادس، والوقت هو أحد هذه الخيرات وأثمنها، وسوف ندان يوماً على طريقتنا في استعماله. لننتدّر التناقض الظاهريّ في أحد أقوال يسوع: "من أراد أن يخلص حياته يفقدها ومن فقد حياته في سبيلي يجدها" (لوقا

٢٤/٩). والوقت الذي نمضيه لأجل الآخرين حباً بالمسيح إنّما هو الوقت الأكثر خصوبة في حياتنا.

### صلاة لاجتماع الفرقة (يوحنا ١٣/٥-١٢ و ١٥)

" قبل عيد الفصح، كان يسوع يَعْلَمُ بان قد أتت ساعة انتقاله عن هذا العالم إلى أبيه، وكان قد أحبَّ خاصَّته الذين في العالم، فبلغ به الحبّ لهم إلى أقصى حدوده. وفي أثناء العشاء، وقد ألقى إبليس في قلب يهوذا بن سمعان الإسخريوطي أن يُسَلِّمه، وكان يسوع يَعْلَمُ أنّ الأب جعل في يديه كلّ شيء، وأنه جاء من لدن الله، وإلى الله يمضي، فقام عن العشاء فخلع ثيابه، وأخذ منديلاً فانتزر به، ثم صبَّ ماءً في مطهرةٍ وأخذ يَغْسِلُ أقدام التلاميذ، ويمسحها بالمنديل الذي انتزر به (...).

فلما غسل أقدامهم لبس ثيابه وعاد إلى المائدة فقال لهم: "أتفهمون ما صنعتُ إليكم؟ أنتم تدعونني المعلّم والربّ، وأصبتم في ما تقولون، فهكذا أنا. فإذا كنت أنا الربّ والمعلّم قد غسّلت أقدامكم، فيجب عليكم أنتم أيضاً أن يغسل بعضكم أقدام بعض. فقد جعلت لكم من نفسي قدوة لتصنعوا أنتم أيضاً ما صنعت إليكم".

من أقوال المطران دوفوا Mgr Defoix:

"يحتاج الله إليكم ليقول لكلّ واحد من أبنائه، إخوتكم وأخواتكم: الله يحبّك. وهو يحتاج الله إليكم لتصبح الكنيسة ميناة رجاء وصدّاقة"

### للحوار بين الزوجين:

إنّ بذل الذات في سبيل القرين والعائلة أو المساعدة المتبادلة هو من المسلّمات في الحياة الزوجية. ولكن كيف تقدّم أنفسنا في لحظات لا نكون جاهزين فيها، مثلاً من أجل الصلاة أو العمل معاً أو الالتزام في خدمة ما ... ففي مثل هذه اللحظات، يطلب إلينا يسوع أن نخدم على مثاله.

- ألدنا التزامات كزوجين؟ إذا كان للقرين التزام معيّن، فما هو موقفنا؟ وكيف نساعد في هذا المجال؟
- كيف نراجع حياتنا، شخصياً وزوجياً، في شأن التزاماتنا (تقييم، توجيهات جديدة).

### للحوار في اجتماع الفرقة:

- بأيّ طريقة نستطيع ممارسة مسؤولياتنا كخدمة، اقتداء بالمسيح؟
- هل نكرّس وقتاً لخدمة الآخرين؟ ألدنا التزامات في الحياة المدنية، في الكنيسة، في فرق السيّدة؟ كيف نعيش تلك الالتزامات؟ هل نفكرّ فيها في "قاعدة حياتنا"؟

## نصوص

### خدمة الآخر

المهم في كلِّ مسؤول أن يكون خادماً قبل أن يكون قائداً. فالشخص الذي يتحمَّل مسؤولية لأنه يقصد أن يُثبت شيئاً أو لأنه ميَّال بطبعه إلى التسلُّط وإعطاء الأوامر أو لأنه يحتاج إلى الظهور أو إلى التمتع بامتيازات ونفوذ هو دائماً مسؤول سيِّء لأنه لا يسعى إلى أن يكون قبل كلِّ شيء خادماً.

إنَّ بعض الجماعات تختار أحياناً مسؤولاً بسبب كفاءته الإدارية أو بسبب سطوته على الآخرين. لا يجوز إطلاقاً اختيار مسؤول بسبب كفاءته الطبيعية، وإنَّما يجب أن يُختار لأنه أظهر حتى الآن أنه يقدم مصلحة الجماعة على مصالحه الشخصية. فشخص خجول، لا يتمتَّع بصفات القيادة وقادر أن يضع نفسه في خدمة الجماعة والآخرين أفضل من شخص "كفوء" ومغرور بنفسه.

إنَّ أفضل مسؤول هو الذي يتسلَّم مسؤوليته كأنها رسالة من الله، ويتكل على قوة الله وعلى مواهب الروح القدس. فهو يشعر دائماً بأنه فقير عاجز، ولكنه يعمل في خدمة الآخرين بتواضع. وأعضاء الجماعة يثقون به لأنهم يشعرون بأنه يضع ثقته لا بنفسه وبرؤيته الشخصية، بل بالله. هم يشعرون بأنه لا يقصد إثبات شيء، ولا يطلب لنفسه أيَّ شيء، وإنَّ مشاكله الخاصة لا تحجب رؤيته، وأنه قادر أن يمحي حالما تنتهي ولايته.

الصفة الأولى في المسؤول هي أن يحبَّ أعضاء جماعته وان يعتبر نفسه معنياً بنموهم، فهذا يعني أيضاً أنه يحمل ضعفهم. وأعضاء الجماعة يشعرون سريعاً إذا كان المسؤول يحبهم ويثق بهم، أم إذا كان يمارس سلطة ويفرض رؤية، أم أنه ضعيف لا يحاول سوى اكتساب مودتهم.

إنَّ يسوع المسيح هو مثال السلطة للمسيحيِّ. لقد غسل أرجل تلاميذه، وهو الراعي الصالح الذي يبذل نفسه في سبيل خرافه، خلافاً للأجير الذي يسعى إلى مصلحته الشخصية.

(جان فانويه Jean Vanier، الجماعة صفح وعيد، ١٩٧٩)

### إرساء الملكوت هو من أعمال الله

يتطلب ملكوت الله خدماتنا ومع ذلك فإنَّ تأسيسه من عمل الله. إننا نتدبَّر أمره ولا نبنيه، بل نستقبله وندخل إليه، ونسعى أيضاً إلى جعل الآخرين يعترفون به، ونحن نسعى إلى نشره. إلاَّ أنه في حدِّ ذاته ليس من صنعنا أبداً، ويجب علينا، في المجال الذي نمارس فيه عملنا، أن نتذكَّر دائماً كلام الربِّ الذي قال فيه: "إذا فعلتم جميع ما أمرتم به فقولوا: نحن عبيد بطَّالون" (لوقا ١٧/١٠). ثمة أمران إذاً: لزوم الخدمة المطلقة، من جهة، والإقرار بأنَّ هذه الخدمة لا تتناسب أبداً مع الهدف المطلوب من جهة أخرى،

إنَّ البشر لا يصمِّمون الملكوت ولا يفرضونه ولا يقترحونه، الله ورسله هم الذين يعلنونه. إنَّه موضع وحي. فالأنبياء شاهدوه في رؤيتهم المستقبل، ويوحنا المعمدان أعلنه، ويسوع المسيح أقامه، وهو عطية من الله الذي حدَّد زمن مجيئه. إنَّ النعمة مجانية، وما على الإنسان إلاَّ انتظار تحقيق ما سيصنعه الله حتى في نطاق نشاطه، ولن يقرب المرء موعد مجيء الملكوت بجهوده البشرية، كما أنه لن يتصوَّر الملكوت بإدراكه البشري.

يطلب منا ربُّنا بالطبع، السهر الدائم: فابنُ الإنسان يأتي كاللص في ساعة لا يكون متوقَّعاً فيها، فيجب التأهب لمجيئه (متى ٢٤/٤٢-٤٤)، كما أنه مثل ربِّ البيت الذي يعود متأخراً في الليل وينتظره العبد الأمين ليخدمه (لوقا ١٢/٣٥-٤٦) أو أيضاً مثل العريس الذي تنتظره العذارى

العشر لتناول طعام العرس (متى ١٣-١/٢٥). غير أنّ السهر يجب أن يترافق بالصبر، فغالبًا ما يتأخر المعلم، وعلى أيّة حال، فإنّ إنماء الملكوت هو من صنع الله، والإنسان عاجز تجاهه: "مَثَلُ ملكوت الله كمَثَل رجل يبذر الزرع في الأرض. ثم ينام ويقوم ليل نهار، والزرع ينبت وينمي، وهو لا يدري كيف كان ذلك" (مرقس ٢٦/٤-٢٧). قال يسوع هذا الكلام مستهدفًا لليهود المتطرّفين ولكّنه قصد أيضًا رسله بالذات الذين كانوا يتصرّفون بصبر نافذ، ذلك أنّه لا ينفع الإنسان شيئاً أن يتلَهف حول حقله، فالله وحده يؤسّس الملكوت وينمّيه. علينا أن نعمل بالطبع، إلّا أنّه لا يجوز أن يكون موقفنا في نطاق أعمالنا الدنيويّة التي تتوقّف نتيجتها على طريقة تصرّفنا.

(إيف دي مونشوي Yves de Montcheuil ، الملكوت ومستلزماته، ١٩٥٧)

إذا كان فرحنا حقيقيًّا فسوف يظهر للعيان. وإذا ظهر  
فسيتكلّم. وعندما يتكلّم فذلك ليقول من أيّ مصدر هو.  
(ينابيع حيّة، رقم ٢٣)

\*\*\*\*\*